بحوث وتحقيقات لغوية

القسم الثانى

للأستاذ أحمد بك العوامرى : عضو مجمع اللغة العربية الملكى

قلت فى مقدمة بحوثى فى الجزء الأول من هذه المجلة : (وقد اثرت أن أدعم ما أسوقه بالحجج اللغوية ، مستمدة من المراجع الصحيحة) وما قصدت بهذا إلا أن أضع بين يدى القارئ موضوعات مستوفاة جهد الطاقة ، يطمئن إليها ، ويسكن إلى سبيل الدلالة عليها .

وقد راعيت أيضا أن من بين مدرسى العربية المنبثين فى أنحاء هـذه البلاد وغيرها من تنقصهم وسائل الاطلاع ، وتعوزهم المعجمات الضرورية كقاموس الفيروزا بادى . وطالما رأيت كثيرا من المدارس الأهلية الابتدائية والثانوية خلوا من معجم أو مرجع لغوى على الإطلاق .

فلهؤلاء المدرسين وأمثالهم من محبى الاطلاع أضع بحوثى هذه مفصلة ، مع ما ألاقى فى جمع الأدلة وتنسيقها وترتيبها من عناء ممض ، وجهد عظيم ، كما يعلم من يكابدون البحث اللغوى ، ويعانون مرارته فى مختلف المراجع ، بين متضارب الأقوال ، ومتناقض الآراء وغامضها .

وقد قال فاضل من النقاد فى إحدى الصحف : (ورجاؤنا عدم الإكثار من استيراد النصوص ، ولا سيما اللغوية منها ، لأن الرجوع إلى المعجمات أمر سهل) — هكذا يقول الأستاذ الناقد . ولعله يقتنع بعدما أسلفت من القول بصواب ما أنا بسبيله من بسط الدليل ، ودَعْم الأحكام .

على أنى ما ادعيت أنى أحطت بما تصـــديت له . وما قطعت فى مسألة قطعا ، ولا بتت فى أمر بتا . وكيف أقطع ومراجع اللغة مبعثرة فى الآفاق ، غير ميسرة كلها لأمة ، فكيف بالفرد ؟ وقديما اختلف أئمة اللغة ، وأجاز بعضهم ما حظره الآخرون . وفى المعجمات التى بأيدينا أمثلة جمة لما نقول ، نعثر بها كلما تصفحنا هذه المراجع ، ووازنا بين أقوالها .

وقد قلت فى مقدمة بحوثى فى الجزء الأول أيضا : (وإنى لا أدعى أن ماقررته من تخطئة أو تصويب هو الحق الذى لا معدل عنه ، فقد يكون هناك من الكتب والمصادر اللغوية ما لو كنت أحطت به ، لكان له أثر فيما أدليت به من أحكام) .

والعصمة لله ، وهو وحده المستعان .

(الواسطة ــ الوَساطة)

قال فى المختار : (وواسطة القلادة : الجوهر الذى فى وسطها ، وهو أجودها قلت : قال الأزهرى : هى الجوهرة الفاخرة التى تُجعل وسطها) وفى الأساس : (وهى واسطة القلادة ، ووسائط القلائد . . . وهو من واسطة قومه . وهو أوسط قومه حسبا) . وفى القاموس وشرحه : (وواسطة الكُور وواسِطُه ، الأولى عن اللحيانى ، مُقَدَّمه . والكُور بالضم الرَحْل ، أو بأداته ؛ جمعه أكوار) وقال الراغب فى المفردات : (والوسَط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان . يقال : هذا أوسَطهم حَسَبا : إذا كان فى واسطة قومه وأرفعهم محلا ... الخ) .

فلم نر فى هــذه الأمهات ؛ ولا رأينا فى غيرها من الكتب التى يحتج بها ، أن (الواسطة) تأتى بمعنى (الوسيلة) أو (العلّة) ، وإن كانت قد فشت فى الألسن والأقلام بهذا المعنى فى العصور الحديثة . وإنك لتراها به كثيرا فى كتب النحو والصرف والكلام والمنطق والتصوف وغيرها للمتأخرين من المؤلفين . فليت شعرى، كيف نشأ هذا الاستعمال ، ومن أين جاء ؟ والغريب أن بعض المحدثين من أصحاب المعاجم أجازوه من غير سند . فقــد قال بطرس البستانى فى "محيط المحيط" : (وربما أريد بالواسطة الوسيط والعلّة . يقال : هو الواسطة بينهما أى الوسيط ، وهو واسطة لكذا ، أى علّة ، وبواسطة كذا ، أى بعلّة كذا) . وجاء عبد الله البستانى فنقل فى معجمه (البستان) هذ الكلام [1]

ولقد أدرك جمهرة مدرسى العربية خطأ هــذا الاستعمال ، فأخذوا يرمّجُونه . ولكنهم أحلّوا كلمة (الوساطة) محل (الواسطة) . وجرى على هــذا كثير من الكتاب .

---

(١) قد يقول قائل : إنه يمكن أن يخرج قولهم : بواسطة كذا : أى بعلة كذا ، على أن (واسطة) هنا اسم فاعل ، صفة لموصوف محذوف . أى بعلة واسطة ، أى متوسطة بين شيئين . فاذا قلت مثلا : يضىء المصباح بواسطة الكهربا ، فمعناه على هذا أنه يضىء بعلة واسطة هى الكهربا ، مأخوذ من وسط القوم : أى توسطهم . فالكهربا واسطة بين المصباح وبين الآلة المولدة لها — ويمكن أن يحمل على هذا قول أبى البقاء فى كلياته : (والثانى أنّ المعلول يتأثر عن علته بلا واسطة بينهما ولا شرط) ، وقول الأمير مثلا فى حاشيته على المغنى : (آلة الفعل هى الواسطة بين الفعل ومنفعله) ، وغير ذلك كثير من أقوال العلماء المتأخرين .

ومن أمثلته قول أحدهم : (تُشرِف الحكومة اليابانية على التعليم بوساطة قسم التربية والتعليم) ، كأنه يريد أَنْ يُصلح الاستعمال الشائع . وتجد (الوساطة) منبثّة الآن فى كراسات التلاميذ بهذا المعنى فى درجات التعليم المختلفة .

وقبل أن نتعرض للوساطة بهذا المعنى بتصويب أو تخطئة ، نُورد ماوقفنا عليه من معانيها :

قال فى الأساس : (ومن المجاز : هو وَسَطٌ فى قومه وسِطَة ووسيط فيهم . وقد وُسِّط وَسَاطة . وقوم وسَط وأوسَاط : خيار) وفى المصباح : (وَوَسط الرجل قومه ، وفيهم ، وَساطة : توسّط فى الحق والعدل . وفى التنزيل : " قال أَوْسطهم " أى أقصدهم إلى العقل) وفى القاموس وشرحه : (والوسيط المتوسط بين المتخاصمين . وفى العباب : بين القوم) وفى القاموس : (وتوسّط بينهم عمل الوساطة) وقال فى المختار : (والتوسط بين الناس من الوَساطة)ونحو ماسقناه هنا تجده مبسوطا فيما لم نَقتبس عنه من المعجمات وغيرها من المراجع الموثوق بها .

فليس من معانى (الوساطة) الوسيلة ، أو العلة ، أو السبب . فمن يقول مثلا : تُروى هذه الأرض بوساطة النواعير ، لم يسلك طريق العرب فى تعبيرهم ، لأنا لم نقف على مثله فيما قرأناه للفصحاء والبلغاء ، بل لم نره إلا حديثا فى إصلاح المدرسين لكلمة (الواسطة) ، كما تقدم آنفا ، وفيما يكتب فى الصحف .

فيجب أن يقال : تروى هذه الأرض بالنواعير ، بباء الاستعانة [1].

---

(١) هى الداخلة على آلة الفعل ، نحو كتبت بالقلم ، ونجرت بالقدوم . وهناك أيضا باء السببية ، بمعنى التعليل ، نحو (إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) ، ونحو : لقيت بزيد الأسد ، أى بسبب لقائى إيّاه . وأدرج بعضهم الاستعانة فى السببيّة اهـ ملخصا من المغنى وحاشيته للعلامة الأمير .

وقد يتمحّل متمحّل فيقول ، إن الكلام على المجاز ، فقولنا : بوساطة النواعير ، مثلا ، يُراد به أن النواعير قامت بالوساطة لإحداث الإرواء ، كما يقوم الوسيط بين المتخاصمين للصلح ، وكما يقوم الدَّلال بالوساطة بين البيِّعَيْن . وهو تخريج وإن صح صناعة لايخفى مافيه من تكلف . فباء السببية ، وباء الاستعانة أو الآلة ، وُضعتا فى العربية لتدلّا على ما وقع الفعل به ، أو من أجله ، مع الإيجاز جريا على أساليب العرب وسننهم .

وقد يمكن أن يكون قول الناس : (بواسطة كذا) أو (بوساطة كذا) ترجمة غير محكمة لتركيب أجنبي ، هو فى الانجليزية مثلا قولهم : (by means of)

(أم) و (أو) بعد سواء

قال العلامة الخضرى عند استشهاد ابن عقيل بقوله تعالى : (سواء علينا أجَزِعنا أم صَبَرْنا ما لنا من مَحِيص) : أعربَ الجمهور (سواء) خبرا مقدما عن الجملة بعده ، لتأوُّلها بمصدر ، أى جَزَعُنا وصبرنا سواءٌ علينا ، أو عكسه ، لأن الجار متعلّق بسواء ، فيسوغ الابتداء به . وجعلوه من مواضع سَبْك الجملة بلا سابك ... ولا يرد أن (سواء) لاقتضائها التعدّد ، تنافى (أم) التى لأحد الشيئين ، لانسلاخ (أم) عن ذلك وتجردها للعطف والتشريك ، كما انسلخت الهمزة عن الاستفهام ، واستعيرت للإخبار باستواء الأمرين فى الحكم ، بجامع استواء المستفهم عنهما فى عدم التعيين . فالكلام معها خبر لايطلب جوابا . ولذا لم يلزم تصدير ما بعدها ، لجاز كونه مبتدأ مؤخرا .

وعلى هذا فيمتنع بعدها العطف بأوْ ، لعدم انسلاخها عن الأَحَد كأَمْ . ولذا لحن فى المغنى قول الفقهاء : سواء كان كذا أو كذا . وصوابه (أم) . لكن نقل

الدمامينى عن السيرافى أن (أو) لا تمتنع فى ذلك إلا مع ذكر الهمزة ، لا مع حذفها[1] قال : وهذا نصّ صريح يصحح كلام الفقهاء اه .

وقال الصبان فى حاشيته على الأشمونى : (قال الدمامينى : فإن قلت : فما وجه العطف بأو ، والتسوية تأباه ، لأنها تقتضى شيئين فصاعدا . و (أو) لأحد الشيئين أو الأشياء ؟ قلت : وجّهه السيرافى بأن الكلام محمول على معنى المجازاة . قال : فإذا قلت : سواء علىّ قمت أو قعدت ، فتقديره : إن قمت أو قعدت فهما علىّ سواء . وعليه فلا يكون (سواء) خبرا مقدما ولا مبتدأ ، كما قيل . وليس التقدير : قيامك أو قعودك سواء علىّ — أو : سواء علىّ قيامك أو قعودك . بل سواء خبر مبتدأ محذوف ، أى : الأمران سواء . وهذه الجملة دالّة على جواب الشرط المقدر[2] .

وإنما انتقينا من كلام الخضرى والصبان هذه العجالة ، لإلمامها بأطراف الموضوع الذى نحن بصدده ، ولنكشف للقارئ عن لون من فلسفة النحويين فى تعليلاتهم ومحاوراتهم ، ولا سيما الأئمة منهم كالسيرافى . وواضح أن السيرافى لم يكن همّه من تصويب عبارة الفقهاء مجرد التصويب لقول قيل ، بالتمحّل والتعليل ، من غير أن يكون قد اطلع من كلام العرب على ما يلجئه إلى هذا التمحل . ويشهد لذلك ماجاء فى اللسان ، قال : « وإذا قلت سواء علىّ ، احتجت أن تترجم عنه بشيئين : تقول : سواء سألتنى أو سكتّ عنى ؛ وسواء أحرمتنى أم أعطيتنى) — وما جاء فى شرح القاموس ، قال : والسواء اسم من استوى الشىء : اعتدل . يقال : سواء علىّ قمت أو قعدت اه .

---

(١) عبارة الصبان على الأشمونى عن السيرافى : (... وإذا وقع بعدها فعلان بغير الهمزة جاز العطف بأو ،

(٢) قال الخضرى : وأما التنافى فيتخلص منه بما قاله الرضى من أن (سواء) خبر مبتدأ محذوف ، أى الأمران سواء . والهمزة بمعنى (إن) الشرطية اه أى فالهمزة ملحوظة . وهى بمعنى إن الشرطية ، وليس فيها معنى الاستفهام .

فهذان الدليلان يعززان ما ذهب إليه السيرافى من جواز وقوع (أو) بعد (سواء) مع حذف الهمزة، وإن كان الأَوْلَى اتباع أسلوب القرآن الكريم وجمهرة ما جاء عن العرب من هذا التركيب. قال الله تعالى: (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم). (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) — وقال الشاعر العربى:

سواء عليك النفر أم بتَّ ليلة ... بأهل القباب من عُمير بن عامر

ويلخّص مما مرّ بك فى هذا المقال ما يأتى:

(ا) أنه يجوز لك أن تقول: سواء كان كذا أو كذا، كما يجوز أن تقول: سواء كان كذا أم كذا، لما جاء فى عبارة الخضرى السابقة: إذ قال: ولذا لحّن فى المغنى قول الفقهاء: (سواء كان كذا أو كذا)، وصوا به (أم) الخ — وأنه يمتنع أن تقول: سواء أكان كذا أو كذا.

(ب) أنه يجوز لك أن تأتى بالجار بعد (سواء)، وألّا تأتى به، وإن كان الإتيان به أفصح، كما رأيت فى الآيات الكريمة والبيت السابق. وقد جاء مثالا اللسان المتقدمان من غير الجار بعد سواء [1]، وأُثبِتَ فى مثال شرح القاموس.

نَدَبَ — انْتَدَبَ

يذيع هذان الفعلان فى الصحف والمجلات ذيوعا عظيما. فيقال مثلا: ندبت الوزارة فلانا إلى العمل فى موضوع كذا. ومن الكتّاب من يقول: انتدبته. إلا أنّ هذا المزيد أخذ يقلّ فى أقلام الكتّاب لظنّهم أنه غير صحيح. ولقد سمعت من

---

(١) يلاحظ أن عبارة اللسان هكذا: (واذا قلت سواء علىّ... الخ) ولكنه جرّد المثالين من الجار.

كثير من المتفقهين فى اللغة إنكارا له ؛ فراجعت الأمهات . وهاك خلاصة البحث :

جاء فى القاموس وشرحه :(وندَبه إلى الأمر كنصر يَنْدُبه ندبا : دعاه وحثّه . والندب أن يندب إنسان قوما إلى أمر أو حَرْب أو معونة ؛ أى يدعوهم إليه فينتدبون له : أى يُجيبون ويسارعون... وندبه إلى أمر : وجّهه إليه). وفى الأساس : (و ندِب لكذا ، وإلى كذا ، فانتَدَب له . وفلان مندوب لأمر عظيم ، ومُنَدَّب له . وأهل مكّة يسمون الرُّسل إلى دار الخلافة (المنْدَبَة) . وتكلّمَ فانتَدَبَ له فلانٌ : إذا عارضه) وفى اللسان كلام نحو ما تقدم . وفيه أيضا : (وفى الحديث : انتَدَب اللهُ لمن يخرج فى سبيله ، أى أجابه إلى غفرانه) وفى المختار : (وندبه للأمر فانتدبَ له : أى دعاه له فأجاب .

وفى المصباح : (ندبتُه إلى الأمر نَدْبا من باب قتل : دعوته . والفاعل نادب . والمفعول مندوب . والأمر منـدوب إليه . والاسم النُّدبة ، مثل غُرْفة . ومنه المندوب فى الشرع . والأصل المندوب إليه. لكن حذفت الصلة منه لفهم المعنى . وانتدبتُه للأمر فانْتَدَب ، يستعمل لازما ومتعديا .

فأنت ترى أن أحدا ممن رو ينا عنهم لم يتعرض لانْتَدبَ المتعدى ، إلا صاحب المصباح . وتبعه فيه الشيرازى [1] فى (معيار اللغة) ، نقلا عنه ، فقد قال : وانتدبه للأمر ، على افْتَعَل : دعاه إليه ، فانتدبَ له . يتعدّى ولا يتعدّى اه

فقد جاء (انتدب) متعديا . والمصباح من الكتب التى نرجع إليها ونعوّل عليها ، و إن انفرد أحيانا بما لم يروه أحد ممن سبقوه فيما نعلم .

---

(١) هو الميرزا محمد على الشيرازى . فرغ من تأليفه سـنة ١٢٧٣ من الهجرة .

(ن ت ج)

لهذه المـادة دوران فى الصحف والكتب وكلام الناس . وكثيرا مانرى خطأ فى اسـتعمال بعض مُشْتقاتها وتراكيبها . فآثرنا أن نضم شتاتهـا فى هذا التلخيص الموجز ، ونلمّ شعثها ، ونحيط بالمشهور من تصاريفها ، بلحزالة فائدتها ، فنقول :

قال فى الأساس : (نُتِجت الناقة ، وهى مَنْتوجة وأَنْتَجت ، فهى مُنْتِجة : إذا وضعت... ونتَجَهَا صاحبها ، وأنْتَجها : وليهاَ حتى وضَـعتْ ، فهو ناتج ومنْتِج... وهذا وقت نَتْجِها ونتاجها ، أى وَضعها... وقد نَتَجتْ وأنتجت : حملت... ومن المجاز : الريح تُنْتِج السحاب[1] وفى مَثَـل : إنَّ العجز والتَّوانى تزاوجا فأنتجا[2] الفقر... وهذه المقدمة لا تُنْتِج نتيجة صادقة ، إذا لم تكن لها عاقبة محمودة ... وهذه نتيجة من نتائج كرمك) .

وقال فى المِصباح: (النِتَاج بالكسر[3] اسم يشمل وَضْع البهائم من الغنم وغيرها . وإذا ولى الإنسان ناقة أو شـاة ماخِضا حتَّى تضع ، قيل نَتَجَها نَتْجـا ، من باب ضرب . فالإنسان كالقابلة ، لأنه يتلقّى الولد ، ويصلح من شأنه فهـو ناتج ، والبهيمة منتوجة ، والولد نتيجة .

والأصل فى الفعل أن يتعدّى إلى مفعولين : فيقال نَتَجَها ولدا ، لأنه بمعنى ولّدها ولدا ...ويُبْنَى الفعل للمفعول ، فيحذف الفاعل ، ويقام المفعول الأول مُقامه ، ويقال نُتِجت الناقة ولدا : إذا وضَعَتْه ... ويجوز حذف المفعول الثانى اقتصاراً ، لفهم المعنى ، فيقال : نُتجت الشاةُ ، كما يقال : أعْطِىَ زيد . ويجـوز إقامة المفعول الثانى مقام الفاعل فيقال نُتِجَ الولدُ ... وقد يقال : نتجت الناقة ولداً بالبناء للفاعل ، على معنى ولدت أو حَملتْ) .

---

(١) أى تَمْـرية حتى تُخْرج قطره اهـ من شرح القاموس .

(٢) أى أبرزاه وأوجداه . فالفعل (أنتج) هنـا ليس فى معناه الوضعى . وكذا يقال فى : (هذه المقدمة لا تنتج نتيجة صادقة) . ويمكن أن يحمل الكلام على التضمين فيهما .

(٣) فى هامش القاموس عند قوله : (نُتِجت الناقة كعُنِىَ نتاجا) مايأتى : (قوله نتاجا ، بفتح النون ، والاسم يكسرها اهـ من عاصم) وضبطها الزبيدى بالكسر .

وقال فى اللسان : (ا لليث : النَّتُوج الحامل من الدواب . فرس نتوج ، وأتان نَتُوج : فى بطنها ولد قد اسْتبان . وبها نِتَاج ، أى حَمْل ... وناقة نِتِيج كنتوج ، حكاها كراع أيضا) .

فأنت ترى مما تقدم :

١ — أنه يمكن أن يقال على المجاز : صانع ناتج أو منتج وصُنَّاع ناتجون ، أو مُنْتِجون . ذلك بأن الصانع يَلِي مابين يديه من خشب أو حديد أوخيوط ، مثلا ، حتى يتهيّأ من ذلك مفتاح أو كرسىّ أو ثوب ، مثلا . كما يقال : نَتَج الرجل الناقة وأنتجها . وكمايقال : الريح تُنْتج السحاب . ووجه الشبه ظاهر . فالمفتاح مثلا : نتيجة . وكذا الكرسىّ والثوب .

٢ — وأنه لايمكن أن يقال لحاصل الضرب مثلا (ناتج[1]) ، كما يشيع على ألسنة كثير من معلّمى الرياضة ، وكما نراه فى بعض كتبها ، لأن الناتج أو المُنْتِج[2] إنما هو الذى يلى العمل ، كما سبق . بل يقال له (نتيجة) ، كما يقال لما يصدر عن المقدمة أو المقدمات نتيجة ، ويصح أن يقال له أيضا (مُنْتَج) كما ترى فى عبارة الأساس السابقة . وكذا يقال فيما يصدر عن تفاعل كيميائى ، مثلا .

٣ — وأنه يمكن أن يقال مثلا : (هذا الجبن الفاخر من "منتوجات" مصانعها بدمياط) ، كما رأيتُ فى إعلان ، لأنه يقال : (نَتَجَت الناقةُ ولدا) على معنى وَلَدَتْ أو حَمَلَتْ ، كما مَرّ فى عبارة المصباح. فليُحمل "المنتوج" هنا على معنى "المولود" على المجاز . وظاهرٌ أن هذا الجبن أيضا يسمى "نتيجة" أو مُنْتَجا[3] كما عرفت .

ويمكن أن يطلق "المنتوج" أيضا على اللبن المُعَدّ لأن يصنع منه الجبن مثلا ، تشبيها له بالناقة التى يليها صاحبها حتى تضع — راجع عبارة المصباح السابقة .

فإنَّ اللبن يليه الصانع بأنواع العلاج ، حتى يصدر عنه الجبن ؛ كما يصدر الولد عن الناقة مثلا . وعلى هذا فقس .

---

(١) إلا إذا حُمل على أنه اسم فاعل (نتج) ، لازم (أنتج) ، بمعنى أبرز ، كما فى نحو : (أنتجا الفقر) — ويمكن أن يقال أيضا : إن (نتج) فى رقم (٥) ، فى الصفحة التالية ، لازم (أنتج) هذا .

(٢) يقال للناقة إذا وضعت أو حملت مُنْتِجة . راجع عبارة الأساس السابقة . (٣) على حد (أنتجا الفقر) على تضمين أنتج معنى أبرز ، كما قررنا آنفا .

٤ — وأنه يمكن أن يقال مثلا : (هذا الجبن من نِتَاج مصانعنا) ، أى هو أثرمنها ، كما يقال : هذا الحَمَلُ من نِتاج هذه الشاة ، أى ثمرة وضْعها ، وكما يمكن أن يقال أيضا : هذا النور من نِتَاج الكهربا . وكلّه على المجاز . وهو سائغ مقبول .

٥ — وأنه لا يمكن أن يقال مثلا : (نَتَج أو يَنْتِجُ مما تقدم كذا وكذا) ، أى يحصل منه ، أو ينجم عنه — أو هو ناتج منه أو عنه — كما يقال فى كتب الرياضة لهذا العهد ، وكما يقال فى الخطب والمقالات الجَدَلية .

وذلك لانَّ الفعل الثلاثى المجرد من هذه المادة إما أن يكون متعديا ، وإما أن يكون لازما . فالمتعدى نحو : نتجَها ولدا كما سبق ، ونحو نتجتُ الناقة أَنْتِجها ، إذا ولّدتها ، كما فى اللسان ، ونحو : نَتَجت الناقةُ ولدا ، على معنى ولدتْ ، كما مرّ . وأما اللازم فنحو : نَتَجتْ : أى حملتْ[1] . فالمتعدى لا شأن لنا به ، لأن الناس صاغوا الفعل فى عباراتهم صياغة اللازم ، فإنهم يَعْنُون به نحو حَصَلَ ، أو نَجَم ، أو نَشَأَ ، كما أشرنا آنفا — ولا علاقة لمعناهم هذا أيضا بمعنى الفعل اللازم وهو نَتَجتْ : أى حَمَلتْ ، فهى نَتُوج ونَتيج ، كما سبق .

٦ — وإنما يمكن أن يقال : يُنْتَجُ[2] ما تقدم كذا على المجاز ، على أنّ (ما) نائب فاعل و (كذا) مفعول ثان ، كما تقول : تُنْتَج الناقةُ ولدا .

كما يمكن أن تقول أيضا : يُنْتِجُ ما تقدم كذا ، كما مرّ .

وكما يصح أن تقول : يُنْتَج كذا[3] ، كما تقول : تُنتِجت الشاةُ ، على حذف المفعول الثانى . ويصح أيضا : يَنْتِجُ ما تقدم كذا ، كما تقول : نَتَجت الناقة ولدا ، على معنى ولدت ، كما فى المصباح .

---

(١) المراد : حَبِلت أو علقت ، أى قام بها الحمل . فهذا معنى لزومية (نتجت) ، كما يفهم من مراجع اللغة .

(٢) ولا مانع من أن يقال يُنْتَج مما تقدم كذا بحذف المفعول الأول والاكتفاء بالثانى وهو كثير ، تقول فى أطعمته الخبز : « أطعم الخبز مما يحسن المحسنون » . قاله السكندرى .

(٣) كما تقول مثلا : هذه المقدمات لا تُنْتَج .

الاسترسال

خفى معنى هذه الكلمة على كثير من الناس وطلاب المدارس والكتاب .. فيقولون مثلا : استرسل فلان فى غيّه ، أو فى عناده : أى تمادى واستمر لا يبالى ، ولا يقف ولا يتريّث . ويستعملونها دائما فى الشر . فلم أر من قال : استرسل فلان في الإحسان ، أو فى المعروف ، أو فى طلب العلم ، أو نحو ذلك[1] . وليت شعرى كيف وصل هذا المعنى إليهم . وهذه معانى الكلمة فى المراجع الموثوق بها لا تمت إليه بصلة . وإنى عارض ملخصها بين يدى القارئ ليتبين منها وجه ما أقول :

قال في اللسان : (واسترسَلَ : إذا قال : أرسلْ إلىّ الإبل أَرْسالا[2] واسترسل : الشيء : سَلِسَ[3] ، وشعر رَسْل : مسترسل . واسترسل الشعر : أى صار سَبْطا ... أبو زيد : الرَّسل بسكون السين : الطويل المسترسل ... الليث : الاسترسال إلى الإنسان ، كالاستئناس والطمأنينة . يقال : غَبْنَ المسترسِل إليك رِبًا . واسترسل إليه : أي انبسط واستأنسَ[4] . وفى الحديث : أيُّما مسلم استرسل إلى مسلم فغبَنَه فهو كذا ؛ الإسترسال الاستئناس والطمأنينة إلى الإنسان ، والثقة به فيما يحدّثه ، وأصله السكون والثبات)

وفى القاموس وشرحه : (والرِّسال ككتاب : قوائم البعير لطولها واسترسالها) وفى مستدرك الشرح : (والاسترسال التأنى في مشية الدابة) .

وفى الأساس : (واسترسل الشيء : إذا تسلّس . واسترسل الشعر ... ورجل رَسْل : فيه لين واسترسال) .

---

(١) وكذا يستعمل بعض الناس (استرسل) بمعنى استمر فى الامر . فيقولون مثلا : استرسل فى كلامه : أى استمر . وهو ما لم أجده .

(٢) فى الصحاح : يقال : جاءت الخيل أرسالا : أى قطيعا قطيعا . وفى المصباح : وشُبّه به الناس فقيل : جاءوا أرسالا : أى جماعات متتابعين اهـ (٣) من باب تعب . مصباح(٤) أى على المجاز ، كما فى شرح القاموس . ويعلم ذلك من عبارة اللسان ، إذ يقول : (وأصله السكون والثبات) ، أى حقيقته .

وفى غير ذلك من المعجمات مالا يخرج عما سردناه لهذا اللفظ من المعانى .

فقد استبان لك مما بسطناه من معانى الاسترسال المختلفة، أنها تدور فى الحقيقة حول معـانى الطمأنينة والسكون والسهولة ، ما عدا الاسترسال بمعنى أن يقول الرجل لآخر : أرسِلْ إلىّ الإبل أَرْسالا ، وما عدا استرسال قوائم البعـير ، أى طولها . حتى إن الشعر المسترسل ، أى السَّبْط ، ساكن مستقرّ ، بخـلاف الجعد ، فهو ثائر هائج .

فلو قلّبت هذه المعانى جميعا ونقدْتَها ، سواء منها ما يشعر بالسكون والثبات ، وما ليس كذلك ، وأردت أن تبحث عن مناسبة وعلاقة بين أحدها وبين المعنى المستفيض الآن لكلمة (الاسترسال) لمـا ظفرت بعلاقة . ولكن المتمحلين كثير . فربّ قائل يقول : إنّ من معـانى (الاسترسال) التأنى فى مشية الدابة ، فلماذا لانلمس هنا العلاقة ؟ والجواب أنّا لا نكاد نحسّها . فإن الناس إذ يقولون : فلان يسترسل فى غيّه ، لا يلحظون إلا المُضىّ والانطلاق . فلا مشابهة بين المعنيين .

فإن قيل : ولمـاذا لا نحمل قول الناس : فلان يسترسل فى غيه ، مثلا ، على معنى الانبساط والاستئناس والطمأنينة ؟ قلنا : إن الاسترسال بهذا المعنى يتعدى بإلى ، كما رأيت آنفا ؛ والناس يعدونه بفى . فلو قالوا : استرسل فلان إلى غيّه ، لأمكن تخريجه على المجاز تخريجا صحيحا سائغا .

والأشـبه فيما أرى أن يستعمل (ج م ح) وفروعه فى المعنى المستفيض الآن بين الناس للاسترسال . فيقال مثلا : فلان جامح فى شهواته ، بدل (مسترسل) . ففى الأساس : (ومن المجاز : ... وفلان جَمُوح وجامح : راكب لهواه ... "لوَلّوا إليه وهم يَجْمَحُون" : أى يجرون جَرْى الخيل الجامحة) وفى المصباح: وربما قيل:

جَمَحَ (أى الفرس) ، إذا كان فيه نشاط وسرعة، ا هـ . وفى النهاية لابن الأثير : (جمح فى أثَرِه : أى أسرع إسراعا ، لا يُردّه شىء . وكلّ شىء مضى لوجهه على أمر فقد جَمَحَ) .

حدث كذا فى أثناء كذا — حدث كذا أثناء كذا

قال فى الأساس : (دسّه فى ثِنْىِ ثوبه . وكل شىء ثُنِىَ بعضه على بعض أطواقا ، فكل طاق من ذلك ثِنْىٌ . حتى يقال : أثْنَاء الحيّة لمطاويها . وتشبّه الثريا بأثناء الوشاح . قال امرؤ القيس :

إذا ما الثريا فى السماء تعرّضت تعرُّض أثناء الوِشاح المفصّلِ)[1]

وقال فى اللسان : «ثَنَى الشىء ثَنْياً : ردّ بعضه على بعض ... وأثناؤه ومثانيه : قواه وطاقاته . واحدها ثِنْى ومَثْنَاة ومِثْنَاة ، عن ثعلب ... وأثناء الوادى معاطفه وأجْراعه [2] ... والثِّنى واحد أثناء الشىء ، أى تضاعيفه [3] . تقول : أنفذتُ كذا ثِنْىَ كتابى : أى فى طيّه) . وقد ضُبِطت الياء فى (ثِنْى) مفتوحة .

ونقل شارح القاموس هذه العبارة الأخيرة عن الصحاح . ونقلها أيضا الشيرازى فى (معيار اللغة) . ثم قال الصحاح : (وكان ذلك فى أثناء كذا : أى فى غضونه.) وقال فى المصباح : (وأثناء الشىء تضاعيفه . وجاءوا فى أثناء الأمر : أى فى خلاله) .

---

(١) الوشاح بالضم والكسر كرُمان من لؤلؤ وجوهر، يُخالَف بينهما ، معطوف أحدهما على الآخر ، وأديم عريض يرصع بالجوهر ، تشده المرأة بين عاتقها وكشحها ، ج وُشُح وأوشحة ووشائح اهـ قاموس .
(٢) جمع أجْرَع . ومن معانيه الأرض ذات الحزونة . وهو ما يناسب هنا . (٣) تضاعيف الشىء : ما ضُعِّف منه . ولا واحد له . ونظيره تباشير الصبح ، وتعاشيب الأرض ، لما يظهر من أعشابها أولا ، وتعاجيب الدهر ، لما يأتى من عجائبه اهـ من شارح القاموس واللسان .

ولقد رجعت إلى نسخة عندى من الصحاح ، مطبوعة بالمطبعة الأميرية سنة ١٢٨٢ من الهجرة ، فوجدت فيها ما يأتى : (تقول : أنفذت كذا فى ثنى كتابى أى فى طيّه) ، بزيادة (فى)، فظننت أنها الصواب ، وما عداها محرّف. ثم إنى راجعت فى دار الكتب المصرية نسختين قديمتين مخطوطتين ، قد ضُبطتا ضبطا تاما ، ونسخة أخرى مطبوعة على الحجر فى فارس ، فرأيت العبارة فى ثلاثتها مطابقة لرواية اللسان ، ولرواية شارح القاموس ومعيار اللغة . ثم رأيت فى دار الكتب نسخة أخرى قديمة ، قال كاتبها إنه عارضَ بها عدة نسخ منقولة من خط الشيخ أبى سهل محمد بن علىّ الهروى النحوى ، وقد نقلها من خط المصنف. وقال الكاتب ما معناه : إن ما وقع من زيادة على كلام المصنف قد كتب من فوق بعلامة خاصّة . وقد جاء فيها ما يأتى : (تقول : أنفذتُ كذا ثِنْىَ كتابى : فى طيّه) فوضع فوق قوله : (ثِنْىَ): (فى ثِنْى) . فعبارة (فى ثنى) هذه ليست من كلام الجوهرى.

فقد رأينا أن (ثِنْىَ) فى قولهم : (أنفذت كذا ثِنْىَ كتابى) قد نُصبت على الظرفية المكانيـة سماعا . وإذا نُصب المفرد على الظرفية ، فمن المعقول أن يُنصبَ جمعه أيضا . فنقول مثلا : جاء أثناء كلامه كذا ، كما تقول : ثِنْىَ كلامه ، قياسا على : (ثِنْىَ كتابى) — نعم إنهم قد صرحوا عند استعمال الجمع (بفى) كما رأيت فى عبارة الصحاح السابقة ، وكما ترى فى شرح القاموس وغيره . فلنا أن ندّعى جواز نصب الجمع على الظرفية ، كما نصبوا مفرده عليها ، إلا إذا ظفرنا بنص صريح على المنع .

نَخِرَ نَخَراً

طالما رأيت فى الصحف وكراسات التلاميذ استعمال هذا الفعل فى غير معناه ، على غير وجهه الصحيح . فيقولون مثلا : (... وليحذروا الفتنة فإنها تنخر[1] فى عظام الأمة) و (رأيت السقف باليا قد نخره السوس) ، بإسناد الفعل فى المثال الأول

---

(١) ويقولون أيضا : تنخر العظام ، على أن (تنخر) مضارع الثلاثى المجرد .

إلى ضمير الفتنة ، وإلى السوس فى المثال الثانى . فخرج عن معناه الوضعىّ خروجا تاما . إذ معنى (نَخِـر) : قام به النَّخَر ، وهو التفتت . ولم يرد بمعنى أحدث التفتت ، كما فى المثالين السابقين .

فإذا أردنا أن نعدّى (نَخِر) قلنا مثلا : أنْخَر السوسُ الخشبَ ، أى جعله يَنْخَر ، كما تقول : بَلِىَ الثوبُ ، وأبْلَى الثوبَ : أى جعله يَبْلَى .

فقد رأيت كيف خرج الناس بالفعل من معنى إلى معنى .

ولنأت فيما يلى بخلاصة ما قاله الأئمة فى هذا الفعل :

فقد جاء فى المختار : "نَخِرَ الشىءُ : بَلِىَ وتفتّت ، فهو نَخِر . وبابه طَرِب . يقال : "عظام نَخِرة" . وفى الأساس : (ومنه "أى المجاز" العظم والعود الناخر لنخير الريح فيه) وفى اللسان : (ويقال : نَخِر العظم فهو نَخِر : إذا بَلِىَ ورمّ . وقيل : ناخرة ، أى فارغة ، يجىء منها عند هبوب الريح كالنخير ... ونَخِرت الخشبة بالكسر نَخَرا ، فهى نَخِرة : بليت وانفتّت ، أو استرخت تتفتّت إذا مُسّت . وكذلك العظم . وقيل : النَّخِر من العظام : البالية ، والناخرة التى فيها بقيّة . والناخر من العظام : الذى تدخل الريح فيه ، ثم تخرج منه ولها نخير) .

ولا نزج ما فى شرح القاموس والمصباح وغيرهما عما أوردناه .

اعتور — عرا ، واعترى

يظن بعض الكتّاب أن (اعْتَوَرَ) بمعنى (اعْتَرَى) أو (عَرَا) . فيقولون مثلا : وكان يَعْتَورنى صُدَاع ... وكان غنيا فاعْتَورته الفاقة ... هو حىٌّ يعتوره الخجل أحيانا . وغير ذلك كثير . والصواب أن يُوضع (عَرَا) أو (اعْتَرى) فى مكان (اعْتَوَر) فى هذه الأمثلة . ولإيضاح المقام نورد ملخّص ما جاء من معانيها فنقول :

١ — عَرَا واعْتَرَى .

قال فى المختار : (وعراه كذا من باب عدا ، واعتراه : أى غَشِيَه) .

وفى المصباح : (عراه يعروه عَرْوًا ، من باب قتل : قصده لطلب رِفْدٍ . واعتراه مثله . والقاصد عارٍ . والمقصود مَعْرُوٌّ . وعراه أمر ، واعتراه : أصابه) .

وفى اللسان : (وحكى ثعلب أنه سمع ابن الأعرابى يقول : إذا أتيتَ رجلا تطلب منه حاجة ، قلت : عَرَوْته ، وعَرَرْته ، واعتريته ، واعترته ... وعرانى الأمر يعرونى عَرْوا ، واعترانى : غشينى وأصابنى ... ويقال عراه البرد ، وعرته الحمى ، وهى تعروه : إذا جاءته بنافض ... واعتراه الهم : عامٌّ فى كل شىء) .

وفى شرح القاموس : " عراه الأمر يعروه : غَشيه وأصابه ، واعتراه : خَبَله [1] ، وأيضا قصد عَراه [2] : أى ناحيته " .

وفى القاموس وشرحه : " وعَرَيْته : غَشيته ، كعرَوْته : واوىّ يائىّ " .

٢ — اعْتَوَرَ :

فى الأساس : (وتعاوروه بالضرب ، واعتوروه . والاسم تعتوره حركات الإعراب ، وتعاورت الرياح رَسْم الدار) .

---

(١) الخبل بسكون الباء الجنون وشبهه كالهوج والبَلَه . وقد خبله الحزن : إذا أذهب فؤاده ، من باب ضرب ... والخبل بفتحها أيضا الجنون اهـ مصباح .

(٢) فى كتاب تهذيب الألفاظ لأبى يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت : أنا فى ناحية فلان ، وفى عراه وحراه وظله : أى فى قوته .

وفى شرح القاموس : (قال الأزهرى...ومعنى تعاورت الرياح رسم الدار: أى تداولته ، فمرة تهبّ جنوبا ومرة شمالا ، ومرة قَبُولا ومرة دَبورا . ومنه قول الأعشى :

دِمْنة قفرة تعاورها الصَّيـــف بريحين من صَبًا وشَمال) .

وفى المصباح : " وتعاوروا الشيء واعْتَوروه : تَدَاولُوه " .

وفى الصحاح : (واعتوروا[1] الشيء : أى تداولوه فيما بينهم . وكذلك تعوَّرُوه، وتعاوَرُوه) .

وفى اللسان : (وفى الحديث: يتعاورون على منبرى: أى يختلفون ويتناوبون ، كلّما مضى واحد خَلَفه آخر... وقال ابن الأعرابى : التعاوُر والاعتوار أن يكون هذا مكان هذا ، وهـــذا مكان هذا . يقال : اعتوراه وابتدّاه [2] : هذا مرة ، وهـــذا مرّة . ولا يقال ابتدّ زيد عمرا ، ولا اعتور زيد عمرا) .

فقد اتضح لك الخطأ فى استعمال اعتور (مكان اعترى أو عرّا) بمعنى الغشيان والإصابة . ذلك بأنّ الاعتوار معناه ، كما سبق، أن يأتى شيء مكان شيء . فقول الأساس مثلا : (الاسم تعتوره حركات الإعراب) يراد به أن حركات الإعراب تتداول الاسم : فتارة يعرض له النصب، وتارة الرفع ، وتارة الجر . أى إذا عرّاه أحدها ارتفع الآخران ، فإذا ذهب حلّ أحد الباقيين محلّه لا محالة . وإذا قلت : تعتورنى الظنون، فإنما تعنى أنك محلّ لها ، تغشاك واحدا بعد الآخر . وهلمّ جرّا .

---

(١) قال فى الصحاح : وإنما ظهرت الواو فى اعتوروا ، لأنه فى معنى تعاوروا ، فبنى عليه ا هـ .

(٢) فى الصحاح : السيفان يبتدان الرجل ابتدادا : إذا أتياه من جانبيه . وكذا الرضيعان يبتدان أمهما . ولا يقال : يبتدها ابنها ، ولكن يبتدها ابناها . ولقـــد لق الرجلان زيدا فابتداه بالضرب : أى أخذاه من جانبيه ا هـ .

وما قيل فى (اعْتَور) يقال فى (تعاوَر) و(تعوَّر) . فتقول : تعاورت فلانا الأحزان وتعوَّرته : أى كلما ارتفع حزن جاء آخر .

وإذا قلت مثلا : إنى لتعرونى ، أو لتعترينى الشكوك ، فهذا يفيد مجرد حلول الشكوك وغشيانها ، فقد تحلّ معًا ، وقد تحلّ متفرقة ، وتقول : يعرونى شك وشكّان وشكوك . بخلاف اعتور ، وتعوّر ، وتعاور ، كما مرّ[1] . فهذه أخصّ كما رأيت .

بقى أن يقال : وماذا نفعل ببيت الأعشى السابق ، وقد أفردَ فيه الفاعل فقال : تعاورها الصيف بريحين من صبًا وشمأل . والجواب : أنّ المعنى ، كما هو واضح ، على أن ريحين — صَبًا وشمالا — تعاورتا هذه الدِّمنة فى الصيف ، أو أن الصيف ملحوظ فيه التعدّد باعتبار ما هبَّ فيه من الريحين ، فكأنّه صيفان . ولا شكّ أن المتعاور فى الحقيقة الريحان لا الصيف ، إلا باعتبار أنه ظرف للريحين المختلفتين .

ويمكن أن نتخذ تعبير الأعشى معيارا نقيس عليه ، فنقول مثلا : تتعاورنى كثرة العمل بالسأم والصداع . وتقول : تتعاور الأزمة المالية مصر الآن بأنواع من الإرهاق ما عرفتها من قبل إلا قليلا . ويستعمل أيضا فى هذا القالب : اعتور وتعوّر ، إذ الأوزان الثلاثة سواء فى الاستعمال ، كما مرّ .

سَرَبَ — تسرّبَ — انْسَرَبَ

هذه المادة أيضا مما يجب أن يتناول بالتمحيص والبحث ، لأنها غير محكمة فى الألسنة والأقلام الآن إلا قليلا . ونحن آتون هنا بخلاصة لما له صلة بالذائع منها بين المثقفين ، وهو ما يُشعر منها بالمضىّ والدخول والذهاب[2] .

---

(١) — أى تقول : يعتورنى شكان وشكوك ولا يجوز : يعتورنى شك كما عرفت .

(٢) قد يكون فيها معنى الخروج أيضا . قال فى اللسان : وسرب يسرب سروبا : خرج اهـ .

قال فى المصباح : (سَرَب فى الأرض سُرُوبا ، من باب قعَدَ : ذهب .وسرب الماء سُرُوبا : جرى ... والسَرَب بفتحتين بيت فى الأرض لا مَنفَذ له ، وهو الوَكْر . وانْسَرب الوحش فى سَرَبه) .

وفى المختار : (والسَرَب بفتحتين بيت فى الأرض . وانْسَرب الحيوان وتسرب : دخلَ فيه).

وفى اللسان : (وقال بعضهم : سرب فى حاجته : مضى فيها نهارا . وعمّ به أبو عُبَيْدة [1]... والانسراب الدخول فى السَرَب... وانسرب الوحش فى سَرَبه... وتسرَّب : دخل ... وطريق سَرِبٌ : تتتابع الناس فيه ... وتسرَّبوا فيه تتابَعُوا).

وفى شرح القاموس : (يقال : سرّبت إليه الشيء: إذا أرسلته واحدا واحدا. وقيل : سِرْبًا سِرْبا . وهو الأشبه . كذا فى لسان العرب . وعبارة الأساس : وسَرَّبتُ إليه الأشياء : أعطيته إيّاها واحدا بعد واحد . وهما متقاربان) .

وفى النهاية لابن الأثير : (وفى حديث عائشة : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُسَرّبهن إلىّ فيلْعبن معى ، أى يَبْعثُهن ويُرسلهن إلىّ . ومنه حديث علىّ : إنى لأسرب به عليه : أى أُرسلهُ قطعة قطعة) .

فما تقدم يمكن أن يقال مثلا : سَرَبتْ فى ذهنه فكرة كذا ، وانسربتْ فيه ، وتسرَّبت فيه ، على المجاز ، تشبيها بالوحش . وهو مجاز سائغ كما هو ظاهر . إلا أن (التَّسرّب) يقال على معنيين : الأول الدخول فى السَرَب ، كما رأيت فى اللسان .والمعنى الثانى : السير على التتابع كما رأيت فى اللسان أيضا .

---

(١) لم يقيده بالنهار .

بقى التعبير المستفيض الآن ، وهو أن يقال مثلا : تسرّبتْ إلى أذهان الناس فكرة كذا ، أو ، تسرّب إلى نفسه اليأس . فهل هو سائغ ؟ والجواب أنّنا إذا رجعنا إلى ما سبق من عبـارة شرح القاموس وجدنا أن للتسريب معنى خاصا ، هو على الإجمال إرسال الشيء أو إعطاؤه أجزاء متفرقة ، يتلو بعضها بعضا . فتارة يقولون : سِرْبًا سِرْبا ، وتارة يقولون : واحدا واحدا ، وتارة يقولون : واحدا بعد واحد . إلا أن تفسير ابن الأثير لحديث عائشة أطلق الإرسال ، فقال : (أى يبعثهن و يرسلهن إلىّ) . فكأنه لا يُشْترط فى التسريب الإرسال أو الإعطـاء على أجزاء . وقد رجعت إلى لسان العرب ، فوجدته يفسر حديث عائشة بما فسره به ابن الأثير . فقد يراد بالتّسريب إذًا مطلق الإرسال ، أو مطلق الإعطاء . وقد يراد به ذلك المعنى الخاص .

ويلحظ أيضا فى حديث علىّ المتقدم أنه استبدل (على) بإلى . فلك أن تقول عليه : سرّبت العمال على المهنـدس : أى أرسلتهم إليه سِرْبا سِرْبا ، أو أرسلتهم إليه (من غير أن يلحظ قيد التجزئة) .

فيجوز على ما تقدم أن يكون تسرّب[1] مطاوعا لسرّب مطاوعة قياسية . فيقال مثلا : تسرّبت إلى نفسه ، أو ، على نفسه الأوهام : دخلت فيهـا جملة ، أو متفرقة — كما يقال : تسربت فى نفسه الأوهام ، كما سبق .

أما إذا لم تُلحظ المطاوعة ، فلا بُدّ أن يقال : تسرّبت فى نفسه الأوهام مثلا ، كما تقول : تَسَرّب الوحش فى سَرَبه .

ولم يتعرّض اللغويون فيما بين يدىّ من المراجع لتسرّبَ المطاوع ، ولا رأيت له استعمالا فيما قرأت للفصحاء .

---

(١) أى فى تعبير الناس ، كما هو واضح .

اللّهم إلا أن يكون كذا

يقع مثل هـذا التركيب كثيرا فى كلام ثقات المؤلفين القدماء ، وفى أقلام الكتّاب فى مجال المناقشة والمحاجة غالبا . فنمرّ به غير معترضين عليه ، أو شاكّين فى صحته . وما كان يخطر لنا أن يُتعرَّض له بالنقد والتخطئة . فقد قرأت لبعضهم فى إحدى الصحف منذ عهـد قريب مقالا مسهبا فى أن لفظ (اللهم) فى مثل التركيب السابق لا محل له ، قال : إذ لا معنى لدعاء الله جلّ وعلا فى مثل هذه المواطن . فهو وضْع فاسد ، الخ ما قال . إلا أنه لم يستند فى كلامه إلى دليل . ولم يأت بنقل عن إمام . ولا أذكر أنى قرأت عليه ردّا ، أو رأيت لرأيه نقدا . فخشيت أن يَعْلَق هذا الحكم بأذهان غير المطلعين ، فيأخذوا به من غير بحث ولا تنقير .

على أنه لم يكن من العسير على هـذا الكاتب أن يرجع إلى ما قاله النحويون واللغويون فى هذه المسألة . وهو كثير . ففى النهاية لابن الأثير : (تستعمل اللهم على ثلاثة أنحاء : أحدها النداء المحض ، نحو : اللهم أثبنا ، ثانيها أن يذكرها المجيب تمكينا للجواب فى نفس السامع ، كأن يقول لك القائل : أزيد قائم ؟ فتقول له : اللهم نعم ، أو : اللهم لا ، ثالثها أن تستعمل دليلا على النّدْرة وقلّة وقوع المذكور ، نحو قولك : أنا . أزورك ، اللهم إذا لم تَدْعُنى . ألا ترى أن وقوع الزيارة مقرونا بعـدم الدعاء قليل) ونقل هـذا الأشمونى فى شرحه على الألفية . ثم رجعتُ إلى الخضرى ، فرأيته قد لخصه . ثم قال : (ومنه " أى من القِسم الأخير " قول المؤلفين : اللهم إلا أن يقال كذا) ، أى فقول كذا قليل الوقوع نادر .

ثم قال الخضرى : وهى على هـذين [1] موقوفـة ، لا معربة ولا مبنية ، لخروجها عن النداء ، فهى غير مركبة . لكن استظهر الصبان بقاءها على النداء ، مع دلالتها على التمكين أو الندرة ا هـ .

---

(١) يقصد الوجهين الثانى والثالث فى عبارة ابن الأثير .

ثم رجعت إلى حاشية الصبان على الأشمونى ، فإذا هو يقول : ولئن سُلِّمَ خروجها عن النداء بالكلية ، فلا نسلّم أنها لا معربة ولا مبنية لعدم التركيب ، لأن خروج الكلمة عن معناها الأصلى لا يستلزم خروجها عمّا لها من إعراب أو بناء أو تركيب . فالمتّجه عندى أنها باقية على تركيبها ، وأنه يقال : اللّهم منادى ، أى ولو صورة ، مبنى على ضم إلى آخر مامر اه .

وفى الكليات لأبى البقاء : اللهم كلمة تستعمل فيما إذا قصد استثناء أمر نادر مستبعد ، كأنه يستعان بالله تعالى فى تحصيله ا ه .

مُخْطِر — خَطِر

قال فى الأساس : (هو على خَطَرٍ عظيم ، وهو الإشراف على شَفَا هَلَكة . وقد ركبوا الأخطار . وخَاطَرَ بنفسه ، وبقومه ، وأخْطَر بهم .) — وقال فى المصباح : (الخَطَر الإشراف على الهلاك ، وخوف التلف . . . وباديه مُخْطِرة : كأنها أخْطَرتْ المسافر ، بفعلته خَطَراً بين السلامة والتلف [1] . . . وخاطر بنفسه : فعل ما يكون الخوف فيه أغلب — وفى القاموس : (الخاطر الهاجس ، ج الخواطر ، والمتبختر ، كالخَطِر) .

وفى الكلّيات لأبى البقاء : (والخطَر الإشراف على الهلاك . وهذا أمر خَطِر : أى متردد بين أن يوجد ، وبين ألّا يوجد) .

---

(١) أى عرّضته للهلاك . يقال : أخْطَر به : أى عرّضه للهلاك ، كما فى عبارة الأساس . كما يقال أخطره ، بهذا المعنى أيضا ، كما ترى فى عبارة المصباح . وفى النهاية لابن الأثير ، فى حديث النعمان ابن مُقَرِّن : (إن هؤلاء ، يعنى المجوس ، قد أخطروا لكم رِئَةً ومتاعا . . . الخ) ، يعنى عرّضوا للهلاك متاعا يهون عليهم . راجع النهاية فى مادة (خ ط ر) .

ونحو ما تقدم فى اللسان وشرح القاموس والنهاية ، مما يحوم حول معنى الإشراف على التلف ، من مادة (خ ط ر) .

فالمطلع على هذه الكتب وغيرها مما بين أيدينا لا يلمح فيها أثرا للكلمة الفاشية المتردّدة على الألسنة والأقلام ، والتى نراها دائما فى الصحف والكتب ، ونسمعها من الخاصة والعامة ، ألا وهى : (الخَطِر) بمعنى المُعَرَّض للتلف . فإنهم يقولون مثلا : هذه مسألة خَطِرة ، وانخذر كذا فإنه خَطِر ، إلخ ما تدخله هذه الكلمة من وجوه القول وتصاريف الكلام .

فظنَّ لهذا بعض الباحثين والمشتغلين بتعليم العربية أنّ اللغة قد خلت من هذا اللفظ بهذا المعنى . ورأيت كثيرا من المدرسين يرجّمُونه فى كراسات الطلبة ، ويأمرونهم بنسيانه ، وأن يستبدلوا به كلمة (مُخْطِر) ، استنادا إلى ما جاء فى المصباح ، إذ يقول : (وبادية مخطِرة ...) إلخ ما ذكرناه آنفا . ومن الغريب أنى كنت أسمع الناس فى لُبْنان فى جَوْلاتى فيه فى صيف سنة ١٩٣٤ يستعملون هذه الكلمة ، حين يذكرون بعض الوِهاد والمنعطفات الجبلية الصَّعبة ، فيصفونها بأنّها مُخْطرة . ولم أسمعهم قط يقولون : (خَطِرة) ، كما نقول نحن فى مصر .

وعند البحث فى هذا الموضوع تذكرت للبحترى بيتين من قصيدة يصف بها قصرا بناه الخليفة المعتز بالله . قال :

لما كملت[1] رويّة وعزيمة ... أعْملتَ رأيك فى ابتناء الكامل

ذُعِرَ الحَمامُ وقد ترنّم فوقه ... من مَنْظر خَطِر المَزَلّة هائل

---

(١) فى المختار : كَمَل يكْمُل بالضم كمالا . وكَمُلَ بضم الميم لغة . وكَمِلَ بكسرها لغة وهى أردؤها اه

فالبحترىّ ، ومكانته فى العروبة والفصاحة لا تُجْهل ، استعمل لفظ (خَطِر) فى المعنى الذى نحن بصـدده . ويصعب جدا أن نتوهم أنه اخترعها ، أو جارى العامة فى استعمالها . على أنّ المستقرئ لا بُدَّ أن يقف على هذه الكلمة منبثّة فى تضاعيف المنظوم والمنثور . من كلام العرب ومَنْ يُحتَجّ بعربيتهم .

وقد كدتُ أقف عند هـذا الحدّ من القول على (خَطِر) لولا أنى عثرت فى "الجاسوس على القاموس" على ما أغرانى بالاستزادة ، استكمالا للفـائدة . فقد جاء فى ص ٣٥٨ ما نصه : (ذكر خَطِر أى ذو خَطَر فى وصف الشُّبْرُم [1] بقوله : واستعمال لبنه خَطِر ، وفى (سمم) [2] بقوله : والدرهم خَطِر. كذا رأيتها فى عدّة نسخ. وليس لهذه الصيغة ذكر فى كتابه ، ولا فى العباب ، ولا فى الصحاح ، ولا فى مختاره ، ولا فى المصباح) .

وقـد رجعت إلى شرح القاموس فى الموضعين ، فإذا الزبيدىّ يقـول فى كليهما بعد (خَطِر) فى المتن: "جدا". فالزبيدىّ إذًا قد أقرّ اللفظ ، ولم يعترض عليـه ، ولم يستشكل . ولو أنه رأى فيه مَغْمَزا ما أغفله ، وهو الرجل المكثر ، الواسع الاطلاع ، البعيد المدى . فلنستعمل هذا اللفظ ، بعد ما أوردنا من الأَسْناد ، مطمئنين إلى صحته ، وإن لم تذكره المعجمات التى بين أيدينا فى ما دّته .

بقى أن نذكّرك أنّ (الخَطِر) جاء لغير المعنى الذى نبحث فيـه . فقد رأيتَ فى عبارة القاموس آنفـا قوله : (الخاطر الهاجس ، ج الخواطر ، والمتبختر ، كالخَطِر .) ، كما رأيت فى كليات أبى البقاء قوله : (وهذا أمر خَطِرٌ : متردّد بين أن يوجد ، وبين ألّا يوجد) . وليس لهـذين المعنيين علاقة بمعنى الخَطِر ؛ أى المعرِّض للخَطَر .

---

(١) كقُنْفُذ ... وشجر ذو شوك ، يقال : ينفع من الوباء ، ونبات آخره حبّ كالعـدس ، وأصل غليظ ملآن لبنا . والكل مُسْهِل ، واستعمال لبنه خَطِر اه قاموس .

(٢) عبارة القاموس : وبالكسر (أى السِّمْسم) حبّ الحَلّ ، لزج ، مفسد للعدة والفم ... والبرىّ منه ... وقـد يسقى المفلوج من نصف درهم إلى درهم فيبرأ . والدرهم خَطِر اه .

وإذا سلّمنا بوجود هذه الصفة المشبّهة بهذا المعنى ، كان لنا أن نصوغ لها فعلها الماضى والمضارع ، على ما أقره مجمع اللغة العربية الملكىْ. فإن الصفة المشبهة تقاس على وزن فَعِل ، من فَعِل المكسور العين ، إذا كان لازما ، ودلّ على معنى عارض غير مستقر : كفَرِح فهو فَرِح ،وأشِرَ وبَطِرَ فهو أشِرٌ وبطر . فتقول قياسا على ذلك ، مثلا : خَطِر هذا المكان ليلا : أى صار ذا خَطَر ، فهو خَطِر ، بمعنى أنه قد ثبت له صفة أن من سلكه ليلا ، مثلا ، تعرض للهلاك . كما يقال : خَطِرَ هذا السلك الكهربّى يخطَرخَطَرا ، فهو خَطِرٌ: ثبتت له صفة أن من مَسّه كان أقرب إلى التلف منه إلى السلامة .

المحيط الجامد ، و (المتجمّد) و (المُنْجمد)

نشأنا نرى فى المصورات الجغرافية تسمية المحيطين الشمالى والجنوبى : (المحيط المنجمد الشمالى) و (المحيط المنجمد الجنوبى) . وكذلك أخذنا هـذه التسمية عن مدرسينا . ثم تكلم الناس فى خطإ (المنجمد) فاستبدلوا به (المتجمّد) فى بعض المصورات .

وإنى مورد فيما يلى ماوقفت عليه من صحيح النصوص فى المراجع التى بين يدىّ فأقول : قال فى المصباح : (جَمَد الماء وغيره جَمْدا ، من باب قتل ، وجمودا ، خلاف ذاب ، فهو جامد . وماء جَمْدٌ بالسكون تسمية بالمصدر ، خلاف الذائب والجَمَدُ جمع جَامد ، مثل خادم وخدم) .

وفى الأساس : (ومن المجاز : جَمَدَلى عليه حقّى وذاب : أى وجَبَ ، وأجمدته عليه : أوجبته ... ورجل جامد الكف ، وجَماد الكف ، ومُجْمِدٌ : بخيل . وأجمَدَ القوم : بَخِلُوا وقلّ خيرهم) .

وفى المخصص : (الثلج ماجَمَدَ من الماء بالنهار والليل... جَمَد الماء يَجْمُد جمودا وجَمَس يَجْمُس جُمُوسا . . . والجَمَدُ الثلج . وكل ما صَلُبَ فقد جَمَدَ) .

وفى اللسان : (الجَمَدُ بالتحريك المـاء الجامد . . . ابن سيـده : جمد المـاء والدم وغيرهما من السّيالات يَجْمُد جُمُودا وجَمْدًا : أى قام) .

وفى القاموس وشرحه : (وَجَمَد المـاءُ والعصارة تجميدا : حاول أن يَجْمُد . وفى الصحاح : (وعين جَمُودٌ : لا دمع لها) .

وفى الأساس : (وقام المـاء : جَمَد) — وفى القاموس وشرحه : (ومن المجاز : قام المـاء : ثبت متحيّرا ، لا يجد منفذا . وقيل : جَمَد . ومنه قول المتنبى :

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة سـال النُّضار بها وقام المـاء ،

(أى ثَبَتَ متحيّرا جامدا) .

هذا موجز لمـا يعنينا فى هذه المـادة ، فى حقيقتها ومجازها ، يستبين منه أن لا وجود للفعلين : (انْجَمَد) و (تَجَمَّد) . ولا يمكن أن يأتيا على المطاوعة . إذ ليس فيما لدينا من المراجع ، كما رأيت ، فعلان يصح أن يكون هـذان مطاوعين لهما . لأن جَمَد لازم لا غير ، فلا يأتى منـه (انجمد) . وليس هناك (جَمَّد) إلا بمعنى حاول أن يَجْمُد ، كما رأيت فى القاموس وشرحه . وهو لازم . (راجع قرار مجمع اللغة العربية الملكى فى المطاوعة) .

نخير وصف لهذين البحرين أن يقال : المحيط الجامد الشمالى ، والمحيط الجامد الجنوبى . ويمكن أن يقال : المحيط الجَمْدُ ، تسمية بالمصدر ، كما رأيت فيما نقلناه عن المصباح . وهو وصف حسن خفيف . كما يمكن أن يقال : المُجْمَـد ، اسم مفعول من أجمده ، أى صيّره جامدا ، إذ البرودة فى هـذين المحيطين تُجْمِدهما . وهى تعدية قياسية . ولكن فى هذا اللفظ ثقلا لا يخفى .

تَرَاوَحَ — راوح

يكتب الناس ويقولون : كانت درجة الحرارة أمس تتراوح بين كذا وكذا — وتراوح سعر القطن فى (بورصة) نيويورك بين كذا وكذا ، وهكذا ، مما يُفهم منه أن شيئا يتردد بين أمرين . فمعنى تَرَاوُح حرارة الجو بين الدرجتين ٣٠ و٣٥ مثلا ، على ما يؤخذ من عبارتهم ؛ أنها تبلغ أحد الطرفين ، ثم تَكُرُّ عائدة إلى الطرف الآخر ، مارة بالدرجات بين هذين الطرفين .

ولكنا إذا رجعنا إلى نصوص اللغة لم نجد هـذا المعنى لمثل هذا التركيب وهاك بعض ما وقفت عليه فى هذا المقام :

قال فى الصحاح : (ويقال : إن يديه لتتراوحان بالمعروف) ، أى أنه يعطى بكلتا يديه ، فتارة باليمين ، وتارة بالشِّمال ، أى أن اليدين تتعاقبان البذل — ونحوه ما جاء فى اللسان ، قال : (ويقال : هما يتراوحان عملا : أى يتعاقبانه . ويرتَوِحان مثله . ويقال : هذا الأمر بيننا رَوَحٌ ، ورِوَحٌ ، وعِوَرٌ : إذا تراوحوه وتعاوروه).

وقال فى الأساس : (وتراوحَتْه الأحقاب . قال ابن الزِّبَعْرَى :

حَيِّ الديار محا معارفَها طولُ البِلَى وتراوُحُ الحقب)

يريد أن السنين من طول ما تراوحتْ هـذه الديار وتعاورتْها ، فهذه تارة ، وهذه أخرى ، ذهبت معارفُها وامَّحتْ . والمراد بالمعارف ما تُعرف به . وقوله : وتراوُحُ الحِقَب ، أى إياها .

فأنت قد فهمت مما سقناه لك من نصوص أن معنى التراوح هو أن يتعاور عاملان أو أكثر أمرا ، فتارة يتناوله هـذا ، وتارة ذاك — فما أبعد الفرق بين هذا المعنى ؛ ومعنى قولهم : تراوح الشىء بين كذا وكذا ! وما أبعد ما بين التركيبين أيضا !

ويمكن أن يُستبدل بتراوح فى عبارة الناس نحو : تَذَبْذَب ، فيقال : تذبذب السعر مثلا بين كذا وكذا — أو تردّد بين كذا وكذا. ففى اللسان : (والتذبذُب التحرك والذبذبة نَوْس الشئ المعلّق فى الهواء . وتذبذب الشئ ناس واضطرب . وذَبْذَبَه هو) وفيه أيضا : (ورجل مُذَبْذَب ومتذبذب : متردّد بين أمرين ، أو بين رجلين ، ولا تثبت صحبته لواحد منهما) .

أما المُراوحة فقد عرّفها الصحاح بقوله : (والمُراوحة فى العملين أن يعمل هذا مرّة ، وهــذا مرّة . وتقول : راوَح بين رجليه : إذا قام على إحداهما مرة ، وعلى الأخرى مرة) — وفى اللسان : (والمراوحة عملان فى عمل : يعمل ذامرة وذامرة ... وراوح الرجل بين جنبيه : إذا تقلب من جنب إلى جنب ... وفى الحديث : أنه كان يُراوح بين قدميه من طول القيام : أى يعتمد على إحداهما مرة وعلى الأخرى مرة ، ليوصل الراحة إلى كلّ منهما... ومنه حديث . بكر بن عبد الله : كان ثابتٌ يُراوح بين جبهته وقدميه : أى قائما وساجدا ، يعنى فى الصلاة) .

فيمكنك أن تقول على هذا : راوح فلان بين القراءة والكتابة ، كما يمكنك أن تقول : راوح بين القراءة والكتابة والكلام ، وإن لم أجده فى كلامهم إلا بين معطوف ومعطوف عليه فقط . وإنى لاأرى مانعا منه .

ويظهرلى أنه يمكن أن يقال أيضا : رَاوَح سعر القطن بين خمسين وستين ، مثلا ، على ضرب من التجوّز ، ولو أن المعنى عليه أنه إما أن يكون خمسين ، وإما أن يكون ستين . ولكنا نطلقه عن هذا القيد ونريد الخمسين والستين وما بينهما من الأسعار مجازا سائغا .

وللمراوحة معنى غير ماتقدم . قال فى الأساس : (وأنا أُغَاديه وأراوحه) يعنى آتية غُدُوًّا وعشيا .

تنزّه — استراض

كنا نطلب العلم فنسمع الناس يقولون ويكتبون : تريّض فلان ؛ وذهب يتروّض ؛ يعنون : الذّهاب إلى الرياض والبساتين والحقول ، للتمتع بمشاهدها وشمسها وظلها ونسيمها . وظل هذا الاستعمال شائعا سنين طويلة (وما زال له أثر حتى وقتنا هذا) ، حتى استبان موطن الخطأ فيه . فطفق مدرسو العربية يرشدون الطلبة إلى أن يستبدلوا بهذين الفعلين فعلا آخر هو " استراض " ، ظانين أنه المعبّر عن الخروج إلى الرياض والبساتين للمُتْعة . وقد فشا استعمال هذا الفعل وما تصرّف منه فشُوًّا عظيما . وارتضاه بعض الفضلاء المعاصرين وأقروه . وما دَرَوْا لو أنعموا النظر أنه بعيد كل البعد فى مدلوله اللغوى عن المعنى المراد لهم .

وهاك ما يعيننا من هذه المادة فى هذا المقام — ففى القاموس وشرحه : (وروّض ترويضا : لزم الرياض ... واستراضت النفس : أى طابت . يقال : افعل ذلك ما دامت النفس مُسْتريضة : أى متّسعة طيّبة) — وفى الصحاح : (واستراض المكان : أى اتّسع . ومنه قولهم : افعل ذلك ... الخ)

ونحو ما تقدم فى المصباح واللسان .

فهذا المعنى اللغوى لا يُشْعر إلا بطيب النفس وانشراحها واتساعها . وكأنه مأخوذ على المجاز من اتساع المكان ، كما تدل عليه عبارة الصحاح . فلا أثر للرياض ولا للخروج إليها فيه . وطيب النفس وانشراح الصدر لا يتوقف على رياض ولا غياض . ولا ضابط له ولا قاعدة . وما تطيب نفسك به ربما لا تطيب به نفسى. فقولك : خرجت لأستريض ، لا يُشْعر بأنك خارج للرياض بحال ، إلا إذا قامت قرينة تعيّن أنك تقصد الرياض . وكما يمكن أن تقول : ذهبت إلى الرياض لأستريض ، كذلك تقول : قرأت لأستريض ، أو ذهبت إلى دار الخيالة لأستريض ، وهكذا — أما أن تقول : إن الذهاب إلى الرياض يلزمه انشراح

الصدر وطيب النفس غالبا فلا مانع من المجاز المرسل — فنقول : إن المجاز لا حجر فيه فى هذا وفى غيره ، متى وجدت القرينة وساغ الاستعمال وجرى على الأساليب البليغة . وإنما نحن فى مقام تقرير معانى الألفاظ كما نقلها العلماء .

أما (تنزّه) فقد رأيت من مدرسى العربية إحجاما عنه ، لإنكار الفيروزابادى له بالمعنى الشائع بين الناس ؛ وقاموسه مرجعهم غالبا . وأذكر أنى سألت أستاذنا العلامة الشيخ حمزة فتح الله عنه . فقال رحمه الله : (استعمله ولاتبال ، فهذا مجاز وأصله من البعد ؛ فلا مانع منه ؛ وقد أجازه كثير من العلماء) ومرت السنون واطلعت على مادار حوله فى مراجع اللغة من الأقوال . وأصبحت مقتنعا بجوازه ، إبقاء على معنى نحن فى حاجة إلى التعبير عنه بأيسر سبيل . وإتماما للفائدة أورد فيما يلى ملخص أقوال العلماء فيه ، ليقف عليها من ليس لديهم وسائل الاطلاع من المدرسين وغيرهم .

قال فى المصباح : (قال ابن السكيت فى فصل ما تضعه العامة فى غير موضعه : خرجنا نتنزه ، إذا خرجوا إلى البساتين . وإنما التنزه التباعد عن المياه والأرياف . ومنه : فلان يتنزّه عن الأقذار ، أى يباعد نفسه عنها ... وقال ابن قُتَيْبة : ذهب بعض أهل العلم فى قول الناس : خرجوا يتنزهون إلى البساتين أنه غلط ، وهو عندى ليس بغلط. لأن البساتين فى كل بلد إنما تكون خارج البلد . فإذا أراد أحد أن يأتيها ، فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت . ثم كثر هذا حتى استعملت النزهة فى الخُضَر والجنان — هذا لفظه . وقال ابن القوطيّة وجماعة : نزِه المكان فهو نزِه ، من باب تعِب ، ونزُه بالضم نزاهة ؛ فهو نزيه ، قال بعضهم : معناه أنه ذو ألوان حسان . وقال الزمخشرى : أرض نَزِهة ، وذات نُزْهة ، وخرجوا يتنزّهون : يطلبون الأماكن النَّزِهة . وهى النُّزهة والنُّزه ، مثل غُرْفة وغرف) والمراد بالتنزه فى كلام الزمخشرى التباعد عن الأرياف والمياه ، حيث لا ندًى ولا جمع ناس .

وقال فى الصحاح : (النُّزْهة معروفة . ومكان نَزِه . وقد نَزِهت الأرض بالكسر . وخرجنا نَتَنَزَّه فى الرياض . وأصله من البعد) .

وقال فى القاموس : (واستعمال التَّنزه فى الخروج إلى البساتين والحُضَر والرياض غلط قبيح) .

وفى شرح القاموس : (قال شيخنا نقلا عن الشهاب : لا يخفى أن العادة كون البساتين فى خارج القرى غالبا ، ولا شك أن الخروج إليها تباعد . فغاية ما يلزم كونه حقيقة قاصرة . فالعجب من التغليط فى ذلك ، على تسليم كون التنزه التباعد . على أن المصنف فسر التنزه بالتباعد مطلقا . ولم يقيِّده كما ترى . فتغليطه الناس عجيب بلا مراء ... ثم قال [شيخنا] : وكلام الشهاب أقرب إلى الصواب . وقد أوضحه فى شفاء الغليل بأزيد مما مرّ — قلت : وقد علمتَ أنه مخالف الكلام الأئمة . وناهيك بالجوهرىّ وابن سيده ، فقد أقرا ابن السكيت فيما قال) .

وقد ساق لسان العرب عبارة الصحاح وهى قوله : (وخرجنا نتنزه فى الرياض وأصله من البعد) ، وساق أيضا اعتراض ابن سيده على العامة فى وضعهم الشىء فى غير موضعه ، قال : (و يَغْلَطُون فيقولون : خرجنا نتنزه ، إذا خرجوا إلى البساتين فيجعلون التنزه الخروج إلى البساتين والحضر والرياض . وإنما التنزه التباعد عن الأرياف والمياه ، حيث لا يكون ماء ولا ندى ولا جمع ناس ... الخ) .

فأنت قد رأيت أنّ فريقا من العلماء يجيزون قول الناس : خرجنا نتنزه ، إذا خرجوا إلى الرياض والحُضَر . وعبارة الجوهرىّ نفسه التى استشهد بها شارح القاموس فى المنع ، تشهد للتجويز ، وهى : (وخرجنا نتنزّه فى الرياض . وأصله من البعد) . ألا ترى أنه يشير إلى المجاز بقوله : وأصله من البعد . وهذا رأيه ، بدليل أنه لم يعزه إلى أحد ، وقد قدمه على قول ابن السكيت الذى يمنعه . وجاء الرازى فى (المختار) فوضع المادة على ترتيب الجوهرى .

واستكمالا للبحث أقول : إنى عثرت فى (الجاسوس على القاموس) على ما يأتى :

(والمُنْتَزَه [أى وذكر صاحب القاموس المنتزه] فى تركيب " زملك " ، والمَنازه فى "مرس") . فرجعت إلى القاموس فى "زملك" فإذا فيه : (زِمْلِكان بالكسر قرية بدمشق ، منها شيخنا أبو المعالى ، ومُنتَزَه ببلخ)، فقال الشارح بعد قوله : (ومنتزه ببلخ) ما يأتى : (على فرسخ منها . وفى كلام المصنف نظر من وجهين) أقول : ولعله يقصد أنّ المصنف ينكر (تَنَزَّه) بمعنى خرج إلى البساتين والرياض، فكيف يجيز (انْتَزَه) ويصوغ منه (المُنْتَزَه) ، وهو ما لم يرد فى اللغة ؟

ثم رجعت إلى القاموس فى مادة (مرس) ، فإذا فيه : (ومُرْسِيَة بالضم مخففة بلد إسلامىّ بالمغرب ، كثير المنازه والبساتين) ، فقال الشارح بعد قوله : (كثير المنازه والبساتين) ما يأتى : (قال شيخنا : استعمل المنازه هنا ، وأنكره فى ن ز ه) .

فصاحب القاموس إذ يقول : كثير المنازه والبساتين ، يجارى من يجيز هذا الاستعمال . ولا يبعد أنه كان يعتقد صحته وهو يكتب تلك المادة، ثم رجع عنه فيما بعد . وأما قوله : (ومُنْتَزَه ببلخ) ، فإنى أرجح أنه نقل هذا اللفظ عن غيره بلا تأمل ، بدليل ما جاء فى الشرح هكذا : " قال ياقوت (و) زَمْلكان بالفتح (مُنْتَزَه ببلخ) على فرسخ منها " . فقد نقل الفيروزابادى كلمة (منتزه) من عبارة ياقوت ، على الراجح .

اكْتَشف

كانت هذه الكلمة من بحوثى اللغوية فى الجزء الأول من هذه المجلة. ولكنى عائد إليها اليوم ، لما قام حولها أخيرا من نِقاش . وإنى قاسم البحث فيها كما يلى :

— ١ —

ما قلته فى الجزء الأول فى (اكتشف)

قلت : يخّلط الكتّاب كثيرا فى استعمال هذه الأفعال[1] . فيقولون مثلا : اكتشف طبيب دواء كذا ، كما يقولون : استكشفه . ويقولون : العالِم المكتَشِف . وهم فى ذلك كله مخطئون . ذلك بأن اكتشَفَ جاء لازما ومتعدّيا فى معنيين مختلفين . وقد مثلوا للازم بما يأتى : اكتشفت المرأة[2] ، إذا بالغت فى التكشّف . . . ، ومثلوا للمتعدّى بقولهم : اكتشف الكبشُ النعجةَ : إذا نزا .

فأنت ترى أنّ المتعدى لا يصلح مطلقا للمعنى الذى نحن بصدده ، لا على الحقيقة ولا على المجاز . أما اللازم ففيه معنى الظهور والانكشاف . ولكن لزوميته تحول دون هذا الاستعمال اهـ .

فما قررته من هذين المعنيين لاكتشف ، فى تعدّيه ولزومه ، هو ما ذكره الثقات الأثبات من علماء اللغة السابقين ، فلم يُشِرْ واحد منهم إلى جواز تعدِّى "اكتشف" اللازم ، ولو على التضمين أو المجاز .

---

(١) أعنى : كشَفَ وكشَّف واستكشف واكتشف .

(٢) أى لزوجها ، كما جاء فى المعجمات . وقد سقطت هذه الكلمة منى سهوا .

وقد رأيت عند كتابتى لهـذا البحث فى الجزء الأول ، ما قاله العلامة بطرس البستانى "فى محيط المحيـط" وهو : (اكتشف الشىء بمعنى كَشَفه . ومنه الاكتشافات ، لمـا يكشف من الأُمور الطبيعية والصنـاعية) ، كما رأيت ما كتبه غيره ممن نقل عنه . ولكنى لم ألتفت إليه ، كما هو شأنى فى المراجعة ، بل لم أرد أن أشير إليه . ذلك بأن (محيط المحيط) و (أقرب الموارد) و (البستان) و (قطر المحيط) على جليل ما خدمت به اللغة ، كثيرا ما تخالف المراجع القديمة ، وتناقض ما استَقَرَّ عليه الاتفاق فيها ، وتشذّ من غير أن تقيم على شذوذها دليلا . وجميع المشتغلين باللغة يعرفون فيها هـذا ، فلا يكتفون بهـا فى المراجعة ، بل يوغلون فى البحث والتنقيب ، إذا رأوا منهـا انفرادا بمفرد أو تركيب . وليت مؤلفيها الفضلاء كانوا قد أَوْردوا على ما انفردوا به دلائل يطمئن إليهـا المطلع ، ويسكن الباحث . إنّهم لو فعلوا لوسّعوا نطاق اللغة ، ووفّروا ثروتها ، وأعانوا المستفيدين أيّمـا إعانة .

— ٢ —

ما جاء فى "الجاسوس على القاموس" على اكتشف

ومن قبيل رأى المعـلم بطرس البستانى ما جاء فى الجاسوس على القاموس ، قال : اكتشفت المرأة لزوجها : بالغت فى التكشف له . وعندى أن المفعول هنا محذوف ؛ تقديره : نفسها ، وأن (الزوج) مثال . وهـذا الحرف ليس فى الصحاح ولا التهذيب ولا المحكم اهـ .

والفرق بين البستانى والشدياق أن البستانى حكم بالتعدية ، بأن أتى بالمثال فحسب . أما الشدياق فعزّز رأيه باستظهار مِنْ عند نفسه ، لم يَدْعَمْه ولم يُقوّه ، فجاء ضعيفا واهنا . والذى يبيح تعدية فعل كهذا ورد لازما فيما نُقل عن العرب ، لا يأبى أن يُعـدّى أفعالا نحوه جاءت لازمة أيضـا . وبذا تُمْهتَن حُرْمة النقل ،

بالتأويل من غير دليل . فالفعل (انحر) مثلا ، فى قولك : انتحر الرجل : أى قتل نفسه — لازم قطعا ، غير مطاوع لنحر ، بل قائم برأسه كما كتشف : فماذا يمنع الشدياق أن يقول : إنه أيضا متعد ، والمفعول محذوف، أى نفسه ، قياسا على اكتشف ؟ ولو ذهبتَ تبحث لوجدتَ من أمثال (انتحر) كثيرا .

فقد عرفتَ وجه الضعف فى استظهار الشدياق . وهو كاف فى إدْحاضه — وأما قوله : إنّ الزوج مثال ، فهذا نوافقه عليه . فلنا أن نقول مثلا : اكتشفَ الرجلُ[1] ، أو الولد . بل يمكننا أن نقول : اكتشفت الحقيقةُ ، على المجاز .

— ٣ —

راى الأب أنستاس مارى الكرملى فى (اكتشف)

وجاء العلامة الأب أنستاس الكرملى فى مقتطف مارس ١٩٣٥ ، فأباح أن يُقال : اكتشَفَ الشيء. قال : اكتشفَ الشيء من أفصح كلام العرب ، ومن أقدمه ، إذْ هو من باب المجاز . فمعنى اكتشَفَ الشيء : الهجوم على الحقيقة ، أو على الشيء المخفى، وإلقاحه وإنتاجه وإنماؤه وبثُّه فى العالم للانتفاع به . وهو مِنْ قول السلَف : "اكتشَفَ الكبشُ النعجةَ : نزا عليها" (اهـ من اللسان فى آخر مادة كشف) اهـ ما يعنينا من قول الأب الفاضل .

فالأب إذًا يَعْمِد إلى (اكتشف) المتعدى ، فينتزع منه مجازا ، فنى قولك مثلا : اكتشف العالِمُ حقيقة كذا ،استعارة مكنيّة أوتبعيّة . فقد شُبِّه على المكنية العالمُ فى هجومه على الحقيقة بالكبش فى ... ... ، بجامع الإنتاج وانتفاع العالمَ بالنتيجة فى كلّ . ثم حذف الكبش ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو (اكتشف). وعلى التبعية تكون الاستعارة فى (اكتشف) . وإجراؤها معروف .

---

(١) جاء العلامة الأب أنستاس الكرملى بشاهد من تاريخ الطبرى يدل على أن (اكتشف) ليس خاصا بالنساء . انظر مقتطف مارس سنة ١٩٣٥

هذا باختصار مايَعْنيه الأب الفاضل بعبارته السابقة . وإنى على يقين أن هذا المجاز لم يخطر ببال أحد ممن استعملوا (اكتشف) متعديا . فالشدياق تحمَّل للفعل الذى ورد لازما فى المعجمات ، فاستظهر أنه متعـد كما سبق . وغير الشدياق من أصحاب المعجمات الحديثة سلكوا هذا المسلك ، وإن لم يعلّلوا لما يقولون . فقد عمدوا جميعا إلى الفعل اللازم فعدوه، لما فيه من معنى الانكشاف والظهور . وانفرد الأب العلامة ، فقصد إلى الفعل المتعـدى ذى المعنى البعيد من الكشف والإظهار ، فصاغ منه مجازه . فهذا المجاز موكول لأذواق الأدباء . فلهم وحدهم فيه الفصل .

ثم أين (الهجوم على الحقيقة) فى كَشْف العلماء ؟ إنهم قوم يصلون إلى الحقائق برويّة لاشائبة فيها للعنف . فهم يتّخذون التؤدة والتأنى شِعارا لهم فى كل مايزاولون من عمـل . وكيف يتأتّى العنف فى الاستقراء والموازنة والاستنباط ، ووضع المقدمات للنتائج .

وإذ قد عرفنا وجه الشبه الذى قد بنى عليه الأب الجليل استعارته ، يجدر بنا أن نسأله : أيصح أن يقال عليه : اكتشف الشرطى غريقا فى النّهر، أو : اكتشفَ الولد فِراخًا فى العُشّ ، مما ليس فيه نفع للعـالَم مطلقا ؟ — أو أن يقال مثلا : اكتشف العالِمُ كذا ، إذا انكشف له الشئ بلا معاناة ، بل جاءه عَرَضا ، من غير أن يقصد إليه بالذات ، كما يحدث كثيرا للباحثين فى العلوم الطبيعية والرياضية، أم يكتفى الأب فى نحو هذه الأمثلة التى لم تستوف وجه الشبه الذى ذكره ، بفعل (كشف) المجرّد ؟ هذا مانود أن نعرفه .

— ٤ —

رأى الأب انستاس

فى أنَّ مايكتبه الشيخ إبراهيم اليازجى حجة ، وفى أنَّ المعلم بطرس البستانى إذا قال شيئا ووافقه عليه غيره ، أصبح حجة

قال الأب الجليل : وكان إبراهيم اليازجى ممن استعملها [اكتشف الشيء] فى مجلته (الضياء) ، إلى آخر سنة منها ، أى إلى سنة وفاته . وليس الشيخ إبراهيم ممن لا يعتد بكلامه ، بل هو الحجة العظمى والثبت الأكبر اه .

ونحن نقول : كيف نحتج بمايكتبه العلامة اليازجى ، على أنّه من تعبيره هو ، ونحن لا نحتج بكلام المتأخرين من أئمتنا اللغويين كابن منظور والفيروزابادى والفيّومى والزبيدى وغيرهم من الفطاحل الذين حفظوا العربية من الشتات والدثور — فنحن إذا عثرنا فى أثناء كلامهم فى شرح عبارة أو تفسير لفظ ، على كلمة أو تركيب لم تُنَصَّ عليه اللغة فيما نعلم ، وجب ألا نأخذه عنهم ، إلا إذا كَشَفَ لنا البحث عن وجوده فيما بعد فى كلام عربى صحيح . فهؤلاء الأعلام نقلةٌ ورواة لا غير ، وليس فى كلامهم قوة أن يُحتَجَّ به .

ونسوق على سبيل المثال ما قدّمناه فى بحثنا لتَنَزَّه . فقد قلنا هناك : إن الفيروز ابادى أورد كلمة (المُنْتَزَه) فى مادة (ز م ل ك) . وهذا اللفظ ليس له وجود فيما بين أيدينا من المراجع . فهل نقول : إنّ الفيروز ابادى وهو حجة أتى به فى دَرْج كلامه ، فيجب أن نستعمله كما استعمله الفيروزابادى ؟ — الجواب : لا ، لأنه لم يَقُمْ على عربيته دليل . نعم إنه أنكر تنزّه ، بمعنى الخروج إلى البساتين والخُضَر ، ولكنه لم يتعرض لانتزه ، ولا تعرض له غيره .

ويحضرنى مثال آخر فى (تَمَذْهَبَ) الذى استعمله الفيروزابادى أيضا فى مادة (ق ل ص) ، فقد قال هناك : وكمفتاح جدّ والد عبد العزيز بن عمران بن أيّوب الإمام ، من أصحاب الشافعى . وكان من أكابر المالكية . فلما رأى الشافعى انتقل إليه وتَمَذْهَبَ بمذهبه اه .

فهذا الفعل أيضا لم أر له أثرا فيما لدى من المراجع [1] . وقد يكون فى مَرْجع مّا . ولكن يجب ألا يُستعمل إلا إذا ظفرنا به يوما . والذى فى كتب اللغة لا يخرج عن قولهم : (وذهب فى الدين مَذْهَبا : أى رأى فيه رأيا) .

وهكذا نجد كثيرا غير ما قدمنا من عبارات الأئمة اللغويين ، إذا ذهبنا نتتبع أقوالهم .

وقال الأب الجليل أيضا :

ولعلك تقول : إن البستانى ليس بحجة ، وهو كثيرا ما أخطأ فى محيطه ، وأدخل كلما عاميا ، واعتبره فصيحا ، وَوَضَع ألفاظا لا صحة لها ولا وجود — قلنا : "ونحن أيضا على رأيك . لكن إذا قال شيئا ووافقه عليه غيره أصبح حجة" . وهذه الكلمة استعملها فصحاء الكتبة فى القرن الماضى . إذن لا بُدّ من استعمالها وعدّها مولّدة ألّم تكن فصيحة . اه بنصه .

ونحن نقول : قد أسفلنا انّ بطرس البستانى استعمل (اكتشف) متعديا بلا برهان . فموافقة غيره له عليه لا يزيد هذا الاستعمال قوة ، وإن كان بعض هؤلاء الموافقين من فصحاء الكتاب فى القرن الماضى . فأولئك الأفاضل ، على ما بذلوه من جهد فى رفع شأن اللغة وتخليصها من العامى والدخيل ، كانوا يخطئون كثيرا ، لأنهم نشئوا وسط الأميّة الفاشية والجهل المطبق . فجاهدوا وكدحوا

---

(١) لم يستدرك الزبيدى على قول القاموس : (وتمذهب بمذهبه) .

حتى استقام لهم التعبير . ومن يجهلُ قدر الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، و إبراهيم المويلحى ، وابنه محمد المويلحى ، وحفنى بك ناصف ، ويعقوب صروف وغيرهم من جِلَّة حملة الأقلام فى القرن الماضى ؟ فهؤلاء أيضا كثيرا ما أخطئوا . بل إنك لتجد بين أول عهد أحدهم بالكتابة وآخره بونا شاسعا وفرقا بعيدا ، فى انتقاء الألفاظ ، وتخير الأساليب ، وسلامتها من الزلات .

والأب أنستاس نفسه يقول عن البستانى ما قال آنفا . ذلك بأن البستانى تأثّر ببيئته ، فأخطأ ما أخطأ ، وأدخل من العامى فى (محيطه) ما أدخل من غيرتنبيه على عاميته — بل هو وغيره من أصحاب المعجمات الحديثة المتداولة الآن أباحوا من محظور الألفاظ والتراكيب شيئا كثيرا جدا ، نعثر عليه بإدمان البحث فى معجماتهم . فقلّت إذًا ثقة المشتغلين باللغة بهـذه المعجمات فيما انفردوا به عن القدماء كما قدّمت .

فهل بعد ذلك نَجْهَد فى تأويل خَطئهم هذا ، ونتلمّس له المعاذير . فتارة بحذف المفعول ، وتارة بمجاز بعيد ، وأخرى بأنّ قوما من فصحاء الكتّاب فى القرن الماضى نطقوا بهذا الفعل أو كتبوه هكذا متعديا الخ .

— ٥ —

كشفَ غير استكشف

لخّصت فى بحوثى فى الجزء الأول من هذه المجلة معنى كلّ من هذين الفعلين ، لأن بعض الناس لا يفرقون بينهما فى الاستعمال ، بل يظنونهما بمعنى واحد . وهما مختلفان اختلافا تاما .

فكشفه بمعنى أظهره . وأما استكشف عنه فبمعنى : طلب أن يُكْشف له عنه . فالأول متعد ، والثانى لازم ولا بد أن تليه عن .

وفى معنى كشفَ الشيءَ ، بمعنى أظهره ، كشَفَ عنه الشئ ، بمعنى أظهره أيضا ، وتجد هـذه المـادة مفصلة فى مقالتى فى صفحتى ١٤٧ ، ١٤٨ من الجزء الأول .

فعندنا : (كشَفَ كذا) و (كشَفَ عن كذا) ، فعلان متعديان ينصّان على المعنى المراد من الإظهار والإبانة .

فلا حاجة بنا إلى (اكتشف) ؛ ولا إلى تكلف المجاز فيه ، كما لا حاجة بنا إلى معنى الهجوم ، المتخيَّل من حال الكبش . والفعلان السابقان صالحان للكشف مطلقا ، سواء أكان فى الحقائق العلمية أم فى غيرها .

(القِدِّيس) — (الجناز) — (الكنيس)

ما كنت لأُعنى بهـذه الكلمات ، لولا فشوُّها فى الصحف ، ولولا ما أراه من تسرّبها إلى أقلام الطلاب فى منشآتهم . ولقـد وجدت من المدرسين من يغفلون عنها ، فلا يصلحونها للطلبة ، لشدّة ما تكاثرت وذاعت . وكان أحدهم مرة يقرأ أمامى كراسة لطالب ، فعرضتُ فى أثنـاء الموضوع كلمة (قدِّيس) ، فقلت له امحها ، فعجب بادى الرأى . ولكنه عاد فاعتذر بشدة حيوية الكلمة وانتشارها .

ذلك ما حدانى إلى أن أنبِّه على خطإ هذه الكلمات الثلاث ، ليحذرها المعلّمون والمتعلمون . فأما (قِدّيس) فينطق بها الناس بكسر القاف وتشديد الدال مكسورة . ويقولون للأنثى (قِدِّيسة) . ويعنون بالقِدِّيس : المطهَّر من الدنايا ، القـانت العابد . وهو مَن يطلِقُ عليه المسلمون اسم (الوَلىّ) على التقريب .

ولم أر هـذه الكلمة مضبوطة هكذا فى نص عربى أو مُعْجم . وإنمـا رأيت اللسان يقول : والقِدِّيس الدّر ، يمـانية اه وشتّان ما بين الضبطين والمعنيين .

وأما (الجناز) فلا أدرى كيف يضبطها النـاس . وهى على أىّ ضبط غير عربيـة هكذا . وقد يقصدون بالجناز معانى قد تكون أحيانا بعيـدة كل البعد من معنى (الجنازة) فى العربية ، كما يعلم ممـا يكتب فى الصحف .

وأما (الكَنيس) بغير التاء المربوطة فغير عربية أيضا ، ويعنون بها متعبّد اليهود ، تمييزا من متعبَّد النصارى . وقد نقل بعض اللغويين أن الكنيسة [1] لليهود والنصارى . وقال بعضهم : إنّ الكنيسة لليهود ، وللنصارى البِيعـة ، والجمع بِيَع .

شَطَبَ عما كتَبَ ، بمعنى رمَّجَه — لا شَطَبه

ما فتئ الناس يستعملون : (شطب الكتابة) ، على معنى المرور عليها بالقلم وإفسادها والعدول عنها . وهذا الاستعمال شائع جدا فى المدارس بين المدرسين والطلبة . فيقولون مثلا : شَطَبتُ هذه الكلمة ، واشطبْ هذه الجملة . وجاء العلامة الشيخ حمزة فتح الله نحو أربعين سنة خلت ، فكشف عن (رَمَّجَ) [2] وأذاعها بين المدرسين . إلا أنهـا لم تصادف نجاحا ، فعراها الذبول والوهن ، فماتت . وظلّت (شَطَبَ) حية بيننا ، برغم ما تُرْشَق به من تخطئة . على أنك تكادلا تجـد رمَّج إلا فى المعجمات . فهى توشك أن تكون ميتة أيضا فى أقلام البلغاء السابقين . فنحن فى حاجة إذًا إلى (شَطَبَ) ، نلحفتها وذيوعها ؛ و إمكان تخريجها على وجه مجازى سائغ . فقد جاء فى النهاية لابن الأثير : (وفى حديث عامر ابن ربيعة أنه حمل على عامر بن الطُّفَيْل ، وطعنه ، فشَطَبَ الرمحُ عن مقتـله ،

---

(١) قال فى اللسان : وهى (أى الكنيسة) معربة . أصلها كنشت اهـ .

(٢) قال فى اللسان : والترميج إفساد السطور بعد سويتها وكتابتها بالتراب ونحوه .. يقال : رَمَّجَ ما كتب بالتراب حتى فسد اه وفى الأساس : وضرب على المكتوب اه يعنى أفسده .

أى مال وعدل عنــه ولم يبلغه . وهو من شَطَبَ بمعنى بعد .) وفى اللسان : وشطب عن الشيء : [1] عَدَل عنه اه

ولا يخفى أنك إذْ ترجِّمُ الكلمة، أى تفسدها بعد الكتابة ، تعدل عنها وتُجانبها . والعدول عما هو مكتوب إنما يكون عادة بإفساده بالقلم . فلسنا نحتاج فى إصلاح عبارة الناس إلا أن نعدل عن تعدية (شطب) بنفسه . فنقول : شَطَبَ عنه ، بدل شطبه . وهذا يسير .

بقى أنّى لم أجدْ مَنْ صرّح بمضارع (شَطَبَ) ، ولا بمصدره . فأما مصدره فقياسه الشُطُوب ، لأن (فُعُولًا) يطّرد فى فَعَل [2] اللازم . وأما مضارعه فيمكن أن يكون على (يَفْعُل) كقَعَد يَقْعُد، أو على (يَفْعِل) كعَدَل يَعْدِل ، أو على (يَفْعَل) كرَسَخَ يرسَخ .

ولا يبعد أن تكون (شطب) بمعنى (رَجَّ) قد انحدرت إلينا قديما من معنى العدول عن الشيء . أى أن الناس استعملوها هذا الاستعمال المجازى أولا . ثم لما فشت وتداولتها ألسنة العامة حذفوا (عن) بعدها ، وعدّوها بنفسها تخفيفا .

فإذا قُبل هــذا المجاز السائغ فإنه بذلك يُضاف إلى العربية الصحيحة كلمة لا يمكن أن تموت بين الناس . وإذا نحن حاولنا القضاء عليها أخفقنا كما أخفقوا من قبل، لشدّة حيويّة الكلمة ، كما ترى .

---

(١) فى المصباح : وعدل عن الطريق عدولا مال عنه وانصرف اه (٢) ولا فرق فى فعل اللازم بين الصحيح والمعتل باللام أو الفاء ، والمضاعف كمَّر مرورا . أما معتلّ العين فالغالب فيــه فَعْل ، كصام صوما ، أو فعال ، كصام صياما ، أو فِعالة ، كتاح نياحة . ويقلّ فيه فُعول ، كغابت الشمس غيُوبا اه ملخصا من الخضرى .

وقد حاول بعضهم أن يخرّج "شطب" بمعنى "رمّ" من شُطُوب السيف وشُطُبه وشُطَبه، أى طرائقه التى فى متْنه، من قولهم: سيف مُشَطَّب ومَشْطُوب، أى فيه شُطَب. وهو تخريج مجازىّ، ولكن وجه الشبه غير ملحوظ فيه إلا مطلق امتداد طرائق[1].

وإكمالا للبحث أُورد هنا ماذكره العلامة ابن السَّيد البَطَلْيَوْسِى فى (الاقتضاب شرح أدب الكتاب)، فى الصفحة ٩٤ فى هذا الموضوع قال: "فإذا أفسد الخط قيل: مَجْمَجَه مَجْمجة، وثبَّجَه تثبيجا، ورَمَّجه ترميجا، وشَرْمَجه شرمجة، وهَلْهله هلهلة، وكَهْلَهَهُ كهْلَهَة".

(نادى التجديف الملكى)

انشئ بالقاهرة حديثا ناد أطلقوا عليه هـذا الاسم. وللتجديف معنى ليس بينه وبين المعنى الذى يريدون علاقة مّا. وكان ينبغى أن تُتَحرى الصحة عند التسمية حتى يطابق الاسم المسمى. ولإيضاح المقام نورد خلاصة ما جاء لمعنى "التجديف" فى صحيح اللغة:

قال فى اللسان: (والتجديف هو الكفر بالنعم. يقال منه: جَدَّفَ يُجَدِّف تجديفا. وجَدَّف الرجل بنعمـة الله: كَفَرها، ولم يقنع بها. وفى الحـديث:

---

(١) قال الأستاذ السكندرى: تخريجه على: سيف مشطوب ومشطّب، أى مجعول فيه حزوز طولا — أو — على: أرض مشطّبة: إذا خطّ فيها السيل خطوطا أولى. ا ه

وعليه ما جاء فى شفاء الغليل قال: (شطبة): خط يمد على الغلط الواقع فى الكلام. ومنه قول ابن عبد الظاهر:

بالصدغ أبدى شطبة ... مَنْ شكله مُحَوَّطُ
سألتـه عن أمرها ... فقال: زاد الغلط
قلتم بدالى عارض ... مشـكّل منقّط
جئت شطبت فوقه ... وقلت: هـذا غلط

لا تجذفوا بنعمة الله : أى لا تكفروها وتستقلّوها) — وفى القاموس وشرحه : (وقيل : هو أن يُسأَل القوم وهم بخير : كيف أنتم ؟ فيقولون : نحن بِشَرّ . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلّم : أىُّ العمل شرّ ؟ قال : التجديف . قالوا : وما التجديف ؟ قال : أن تقول : ليس لى وليس عندى . وقال كعب الأحبار : شرّ الحديث التجديف . وحقيقة التجديف نِسْبَةُ النعمة إلى التقاصر) .

فأنت قد رأيت كيف أخطئوا فى هذه التسمية ، متابعين العامة على تعبيرهم .

ويقولون فى بعض الصحف : " نادى التجذيف " ، بالذال المعجمة . وهو ما لا معنى له ، إذ لم أعثر على (جَذَّف) مطلقا فيما بين يدىّ من المراجع .

والمُفَضّل أن يقال : " نادى الجَدْف الملكى " . وهاك النصوص الدالة على ذلك :

قال فى اللسان : (جَدَفَ الطائر يَجْدِف جُدُوفا : إذا كان مقصوص الجناحين فرأيته إذا طار كأنّه يردّهما إلى خَلْفه ... الكسائى : والمصدر من جَدَف الطائر الجَدْف . وجناحا الطائر مِجْدَافاه . ومنه مِجْدافُ السفينة . ومِجْدَاف السفينة بالدال والذال جميعا ، لغتان فصيحتان [1] . ابن سيده : مِجْداف السفينة خشبة فى رأسها لوح عريض ، تُدفَعُ بها ، مُشْتق من جدف الطائر . وقد جَدَفَ الملاح السفينة يَجْدِفُ جَدْفًا . أبو عمرو : جَدَف الطائر ، وجَدَف الملّاحُ بالمِجْداف ، وهو المُرْدِىُّ [2] والمِقْذَف والمِقْذاف) [3] . اهـ . وفى المخصص : المِغْدفة : المجداف ، والغادوف والغادف . اهـ .

---

(١) لم أجد فيما بين يدىّ من كتب اللغة : جَذَفَ الملاح السفينة ، بالذال المعجمة ، كما قالوا : جدف الملاح السفينة بالدال المهملة إلا فى معيار اللغة للشيرازى فإنه قال : والمجذاف كمفتاح ما تجذف به السفينة .

(٢) قال فى القاموس : والمَرْدُ ..... دَفع الملاح السفينة بالمُرْدِىّ بالضم ، كخشبة للدفع اهـ .

(٣) لم أجد مَنْ قال : قَذَفَ السفينة أى دفعها وساقها . ولكن القياس يجيزه ، بدليل المِقْذَف والمِقْذَاف .

وقال الزبيدىّ : (ومما يُستدرك عليه : جَدَف الملاح بالسفينة [1] جَدْفا ، عن أبى عَمْرو) — وقال فى الأساس : (جَدَف الملاح السفينة : إذا دفعَها بالمجداف) .

قال أعْشى هَمْدان :

لِمن الظعائن سَيْرُهنَّ تزحّفُ * * عَوْمَ السفين إذَا تَقَاعَسُ تُجْدَف)

فيمكن على ما تقدم أن نستعمل فى هذه التسمية مصدر "جَدَف" و"جَذَف" و"قَذَف". ولكنى أُوثر "الجَدْف" لخفّة اللفظ وسُهولته ، ولأنهم استعملوا فعله وهو (جَدَف) لدفع السفينة ، فيما يرويه اللغويون . فيقولون : جَدَف الملاح السفينة . ولم أرهم جاءوا بالمِقْذَاف والمِجْذاف بفعل يُستعمل هذا الاستعمال ، وإن أجازه القياس .

فقد علمت أن (التجديف) لا يمكن أن يستعمل فى معنى (الجَدْف) بحال .

استدراكات

بعد أن تداولت الأيدى الجزء الأول من هذه المجلة ، ووقف عليها أفاضل المشتغلين بالعربية ، كان لبعضهم استدراكات علىّ رأيت أن أُوردها هنا ، إحقاقا للحق ، وتأدية لأمانة العلم ، فأقول :

أولا — قلت فى ص ١٤٠ فى بحث (كاد) : (وقد راجعت كثيرا من كتب النحاة فلم أعثر على كلام فى وجوب أن يكون النفى مسلّطا على كاد ، أو فى جواز تحويله إلى خبرها . وإنما وجدت فى أمثلتهم جميعا ، تسليط النفى على (كاد) نفسها .... الخ) . ولكن جاء فى كليات أبى البقاء ما يأتى : (كاد

---

(١) أى فلك أن تقول : جَدَف الملاح السفينة ، وجَدَف بالسفينة .

تشارك الأفعال من حيث إنّ نفيها لا يوجب الإثبات ، وإنَّ إثباتها لا يوجب النفى . بل نفيها نفى ، وإثباتها إثبات . فمعنى : كاد يفعل : قارب الفعل ولم يفعل ، وما كاد يفعل : ما قارب الفعل ، فضلا عن أن يفعل — ولا فرق بين أن يكون حرف النفى متقدّما عليه ، أو متأخرا عنه ، نحو : وما كادوا يفعلون . معناه : كادوا لا يفعلون).

ولا بدّ أن يكون غير أبى البقاء من العلماء قد صرح بذلك أيضا ، وإن لم نهتد بعد إلى موضعه .

ثانيا — وقلت فى ص ١٥٧ فى بحث (حبذا لو حصل كذا) : (فإن قيل : إنه (أى المخصوص) محذوف ، تقديره (الأمر) ، مثلا ، أجبنا بأن هذا الحذف غير جائز ، على أىّ وجه من وجوه الإعراب التى ذكرها النحاة فى "حبذا كذا"). ولكن جاء فى شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ما يأتى : (يحذف المخصوص فى هذا الباب ، للعلم به ، كما فى باب "نعم" ، كقوله :

ألا حبّذا لولا الحياء وربّما منحت الهوى ما ليس بالمتقارب

أى : ألا حبذا ذكر هذه النساء ، لولا الحياء) — قال الصبان : (قوله : لولا الحياء : جواب لولا محذوف ، أى لولا الحياء يمنعنى لذكرتهن . وقوله : منحت ، أى : أعطيت الهوى : أى هواى . ما ليس بالمتقارب : أى القريب : أى ما لا طمع فيه) .

وجاء فى الهمع للسيوطى : (وحذفه استغناء بما دل عليه قليل ، كقوله : فحبّذا ربّا وحبّ دينا . أى ربّا الإله ، وقوله :

ألا حبذا لولا الحياء وربّما منحت الهوى من ليس بالمتقارب[1]

---

(١) يلحظ أن رواية الأشمونى : (ما ليس بالمتقارب) ، ورواية السيوطى : (من ليس بالمتقارب) وقد خرّج الصبان المعنى على (ما) . ويمكن تخريج المعنى على (من) ، كما هو ظاهر .

أى : حبذا حالتى معك) .

ويظهر مما تقدم أمران : (١) قلة هذا الحذف[1] المشعرة بالشذوذ، وإن قالوا بجوازه (٢) أن يكون المحذوف خاصا لا عاما ، بشرط أن يدلّ عليه دليل من الكلام ، كما رأينا فى تفسيرى الأشمونى والسيوطى له . فلا بدّ أن يكون قد سبق قوله : (ألا حبذا لولا الحياء الخ) . ما دلّ عليه . أما قوله : (فحبذا ربّا وحبّ دينا) ، فالمقام فيه دليل كاف . والمخصوص فى كلا القولين أمر خاص ، لا عام .

فإن فرضنا قياسيّة هذا الحذف ، جاز نحو قولك : إنّ فلانا لمؤنسٌ حلو الحديث ، فحبذا لو حضر . أى فحبذا إيناسه وحلاوة حديثه . وتكون (لو) حينئذ شرطية ، جوابها محذوف دلّ عليه ما قبله . وقد اجتمع فى المثال شرطا حذف الجواب ، وهما : أن يدلّ عليه دليل ، وأن يكون فعل الشرط ماضيا ، أو ما هو فى حكم الماضى .

أما نحو قولك : حبذا لو حضر فلان ، أو : لا حبّذا لو حضر فلان ، من غير أن يسبقة ما يدلّ على المخصوص ، أو من غير أن تُشْعر به قرينة حاليّة ، فغير جائز مطلقا ، إذْ لا ندرى ما الممدوح أو المذموم حينئذ .

على أنّى أَمْيَلُ إلى أنّ حذف مخصوص (حبذا) غير مطّرد، لندرته فى كلامهم، ولأنا لم نر من صرّح بقياسيته تصريحا لا شك فيه . فلنصبر حتى نعثر على ذلك ، أو نرى شاهدا عربيا لصورة التركيب الشائع ، وهو : حبذا لو حصل كذا.[2]

---

(١) كما رأيت فى كلام السيوطى ، ولأنا لم نر لذلك أمثلة كثيرة تشعر بالقياسيّة .

(٢) أى بالشرطين السابقين : وهما : (١) أن يكون المخصوص خاصا لا عاما (٢) وأن يدل عليه دليل من الكلام ، أو المقام ، كما أوضحنا .

ثالثا ـــ وقلت فى ص ١٦٢ فى بحث (لا أدرى ....) : (ولم يذكر أحد أن من أدوات التعليق "إن" الشرطية أو "إذا") ولكن جاء فى (الهمع) ما يأتى : (وقالوا : كثيرا ما تُعَلَّق (أرأيت) [أى بمعنى أَخْبِرنى] . قال تعالى : "قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ..." . وأجيب بأنه حذف فيها المفعول اختصارا ، أى : أرأيتكم عذابكم ... الخ) .

وجاء فى حاشية الصبان على الأشمونى أن (كلّ ما له الصدارة يعلّق) — فإن الشرطية و (إذا) من أدوات التعليق ، وإن كنت لم أر لإنْ مثالا فى احتمال أن تكون معلّقة إلا بعد (أرأيت) ، بعد طول البحث والتقصى . أمّا (إذا) فلم أقع على مثال لتعليقها بعد .

ولا يفهم مما تقدم أنه قد أصبح من الجائز أن يقال مثلا : لا أعلم إنْ (أو ، إذا) كان محمد فى البيت ، على التعليق . فإنك إن علّقت بأداة وجب أن تستوفى عملها فى الكلام . فيجب إذا علّقتَ بإن أن تقول مثلا : لا أدرى إن كان محمد فى منزله فهو نائم . كما استوفت (لو) الشرطية مثلا ، شرطها وجوابها لما علّقتْ ، فى قوله :

وقد علم الأقوام لو أنْ حاتما أراد ثراء المال كان له وفْرُ

وكما استوفت (لعلّ) اسمها وخبرها فى قوله تعالى : (وإن أدرى لعلّه فتنة لكم) . وهكذا يقال فى جميع المعلّقات .

فقول الناس : لا أعرف إن كان قد حصل كذا ، مثلا ، خطأ لا شك فيه . لأنهم يريدونه على التعليق بالاستفهام ، فاستبدلوا به (إن) أو (إذا) ، مجاراة للتعبير الإفرنجى ، كما قلت فى مقالى فى الجزء الأول ، فليراجع .